

القرين الطائر

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

١٤٤٥/ ٢٠٢٤

جمال شاهين

رواية

القرين الطائر

جمال شاهين



مقدمة

كان ينتظر أمام النادي الليلي المجاور للجمعية الخاصة ببعض رجال المال والاستثمار ، وكانت الأضواء خافتة قرب الساعة الثانية بعد منتصف الليل وكان بينا أنه مرهق يتمايل يمينا ويسارا يكاد أن يقع على الأرض من الإرهاق وبسبب الخسارة المالية من القمار وبسبب الخمور التي تجرعها قبل وبعد الخسارة وبسبب الرقص بعد وجبة الطعام ، وكان يلتفت للوراء كل بضع دقائق ، وكان يضع أحيانا يديه على جذع شجرة التي أمام الملهى خشية الوقوع أرضا ، ولما اقترب منه زميله وقال له : مالك ؛ كأنك ختيار تكاد تقع ؟!

ـ لماذا تأخرت ؟ الصداع شديد رأسي ألمه شديد

ـ لقد لاحظت أنك شربت كثيرا الليلة .. اتفقت مع لؤلؤة

ـ وهل يتفق أحد مع لؤلؤة ؟ كل ذكر هنا نام معها

ـ لم تقبل غيرها وسعرها رخيص .. كنت تحدثني عن مشكلة قبل أن تخرج

ـ هيا إلى سيارتك لن استطيع القيادة من الأوجاع ..

مشيا يترنحان نحو موقف سيارات النادي الليلي وقال الزميل : ما المشكلة ؟

ـ خسرت المرأة

قال بدهشة : خسرت المرأة ! لم افهم !

ـ قامرت بها وخسرتها

ضحك الزميل عاليا حتى لفت عيون بعض السكارى الخارجين من النوادي مثلهم ولما سكت قال : كيف ؟ وهل يقبل احد هذه المقامرة ؟

ـ لا ادري المهم قامرت عنها وربحها مورا !

ـ وهل هي جارية من جواري زمان ؟ جواري عمك أبي النواس

ـ لا ادري ! المشكلة انه سامحني فيها وقال لي انظر لك شيخا يفتيك بحلها ؛ لعلها طلقت

ـ لعلها طلقت ! عجيب أنت مجنون .. وكيف قبل أن تلعب عنها ؟ هذه فضيحة للنادي

وسيتعرض الملهى للأذى للحكومة إن شاع الحدث

ـ نعم أحتاج لمفتي هل تعرف أحدا ؟

ـ البلد مليئة بالمفتين بخمس دولارات تجد عشرات الفتاوى تحلها لك .. لكن عندي شيخ مرن في هذه المسائل الغريبة

كانا قد وصلا لسيارة الزميل وصعدا إليها فقال : سنذهب إليه .. متى ستأخذني للشيخ المرن ؟

ـ لولا الوقت المتأخر لذهبنا اليه الآن .. وماذا سيكون موقف امرأتك من هذه الفتوى ؟

ـ لن اخبرها فهي مجنونة بدون سبب .. ستطلقني هي إن علمت

ـ إنها سريعة الغضب والنقمة .. تخيل لو ذهب إليها مورا وقال لها أنت لي فزوجك البطل قامر بك وخسرك

ـ صدق لتذهب معه ..وهل تراها لا تعشق الرجال ؟ أنا لا أثق بأنثى مهما تسربلت بالشرف

ـ أنت مسطول .. ها نحن وصلنا بيتك انزل سلم على زوجتك أم الشرف

نزل السكران من السيارة وهو يرقص ورفع يده بالتحية ودخل المبنى يترنح من شدة السكر والصداع والحشيش .

***

الفصل الأول

طرقت موظفة المكتب غالية دبوس في شركة المال والاستثمار علاء الدين لمديرها الشاب شرف منصور وأدخلت الفتاة الأنيقة رأسها وقالت : ابن عمك كمال علي

اغلق الملف الذي كان بين يديه ونهض قائما لاستقبال ابن عمه كمال علي وهو يقول : فليتفضل

زلف كمال باب المكتب وعانق ابن عمه المالي شرف ولما انتهت المعانقة والمصافحة وأشار له بالجلوس وقال للسكرتيرة التي ما زالت تقف بالباب مبتسما : قهوة لنا وشكرا

فهزت رأسها وأغلقت الباب وبعد دردشة تقليدية بينهما حول الحال والصحة ، وقد دخل عامل الخدمة بالقهوة والماء وسكبها في الفناجين وغادر المكتب عادا للكلام فقال شرف : متى سننتهي من موضوع نادية ؟ من اجل ذلك دعوتك .. فأمي تريد حسم الموضوع إما نادية وإما غيرها فعمري ثلاثون سنة كما حسبت .. وأنا كما تعلم قبلت بها ؛ كما تعلم لرغبة المرحوم أبي بزواجي منها وأيضا عمي علي والدك الفاضل

هز كمال رأسه وقال واجما : كلنا يعرف هذا الأمر غير المفهوم .. ونادية لا ادري ما زالت ترفض ومتعلقة بذاك الأحمق الذي صحبته من أيام الكلية الدكتور شاهد لا اعلم على ماذا هو شاهد ؟

قال شرف : وهما اليوم يعملان معا في نفس المستشفى .. لي سنتان ونصف أنتظر .. أنا يا كمال قابلتها من أيام وذكرتها برغبة الأبوين فاعتذرت يا ابن عمي من جديد وأنا حائر .. أنا انتظر ضغطكم عليها أو تقولون تزوج انتظرت طويلا لي ثمان سنوات منهي الكلية .. فعمي يصر على زواجنا كما حدث أمي من أيام ولا يفعل شيئا اضغطوا عليه أنت وعمارا

ـ عمك فعل يا ابن عمي .. تحدث معها مرارا بكل قوة وصراحة ، وهددها بأنه لن يقبل زواجها من أي احد غير شرف وأنا سمعت هذا الكلام بحضرة أخي عمار وأمي وحتى أمي قالت لها ليس أمامك إلا الزواج من ابن عمك الوزير

ـ وانا سمعت بهذا اللقاء والاجتماع ؛ ولكنها قالت لي لن أتزوجك يا شرف تزوج غيري خير لك مني اقطع الأمل مني

قال كمال : وقال لها الوالد لن تتزوجي شاهدا أبدا

قال شرف : ما حل هذه المعضلة ؟ أمي رغم رغبتها بتحقيق رغبة أبي وأبيك ترى أن هذا الزواج لو حصل لن يدوم سوى أيام .. خلاص البنت مخطوفة بذلك اللعين فاعتقوني لوجه الله

قال ضاحكا : ولو الأمر بيدي لاعتقتك من سنوات .. وأنا مثل أمك في فشل هذا الزواج ؛ لكن القضية رغبة أبيك وأبي وإصرارهما على هذا الزواج والارتباط .. ومات أبوك رحمه الله وهو يصر على ذلك .. فكيف ينقض الوالد الوصية ؟ وهي رغبة جدنا عرفة .

شرف : لماذا يا ترى يصرون على هذا الاقتران ؟ ألم تسمع همسة سبب ؟

ـ لا ادري! ولم اسمع تعليلا يا شرف؛ بل سألت أبي فلم يجب بشيء بين واضح .. مجرد غمغمة وقال هكذا نريد حتى أمي ترغب بذلك بكل قوة

ـ الوزير جلال عونة ذكر لي ابنته فأنا ابن وزير وإن كان ميتا أو ابن وزير سابق يا كمال

قال : نحن في حيرة يا ابن العم ! وزواج الغصب وبدون توافق مصيره الفشل كما قالت امك وأنت تعرف وأنا اعرف

ـ اسمع يا كمال صار لي سنوات انتظر قالوا لما تتخرج تتغير ولها سنتان تعمل مع صديقها الحقير

نهض كمال وهو يقول : أنا عاجز عن فعل شيء يا شرف أنا شرطي ضابط فلو شكت عليّ فيسوء موقفي ولا استطيع أن اضغط عليها وسوف اكلف أبي بعرض غرضك ورغبتك بالزواج من أخرى واذكر له ابنة الوزير ما اسمه كما قلت

ـ جلال عونة

***

كان الطبيب شاهد حماد ابن الثلاثين عاما سنة ١٩٧٧ يجلس في كافتيريا الأطباء في المستشفى حيث توظف فيه ثم تبعته صديقته نادية علي يتناول طعام الظهيرة وتجلس على نفس المائدة زميلته في الكلية وفي المستشفى نادية علي حيث كانا يرغبان بالزواج منذ أيام الكلية الطبية فابتسم لها وقال : إلى متى الانتظار ؟

تجهم وجهها وهي تحدق في عينيه وحركت رأسها وقالت : نعم إلى متى ؟

قال متضايقا : اهلك يصرون على زواجك من ابن عمك اللعين ؛ كأننا نعيش في العصر الجاهلي

قالت ممتعضة من ذكر ابن عمها الذي يقف عقبة في طريق زواجهما : المشكلة يا حبيب ليست في ابن عمي اللعين كما تقول يا شاهد ! المعضلة أبي وأمي هما المصران على هذا الاقتران اكثر من شرف .. وشرف لا يريد أن يكون الرفض من جهته ، يرغب أن يكون الرفض مني أنا ؛ لأن والده رغب بذلك الزواج .. والأسرة اعتنقت هذه الفكرة الرديئة الفكرة القروية

قال بعد صمت وإشعال سيجارة : ما الحل يا بنت الحلال ؟

قالت بعد تنهد : الحل ! فكرت في حلول .. اكثر من حل .

ابتسم بعد تجهم : حلول !أكثر من حل ! هات سمعيني بعض هذه الحلول

ـ أن نتزوج رغما عن الكل

قال مفكرا بهكذا عمل : أهلي يا سيدتي لا يقبلون أبدا بمثل هذا الحال .. احتراما للتقاليد والعادات .. فوالدك ضابط كبير وإن كان متقاعدا .. ووالد شرف فهو وزير سابق وإن كان ميتا .. فهذا سيكون عارا كبيرا في نظرهم وسيسبب هذا الشكل من الزواج نزاعا مع أسرتكم وانا لما أحببتك هذا الحب في الجامعة لم افكر بموقف أسرتك ورغبتهم بزواجك الأثري والرجعي .. وأنت لم تتحدثي عن ذلك إلا بعد تخرجك .. هاتي حلا آخر

قالت موضحة وجهة نظرها : نظرت يومئذ لهذا الأمر أنه مجرد كلام ، وأنا مجرد طالبة ..وقلت في نفسي بعد التخرج الأمر سيتغير .. سأكون طبيبة .. دعهم يرسمون مستقبلي الاجتماعي .. ولي وحدي حرية الاختيار لشريك العمر .. أما الحل الثاني أن نهاجر لأوروبا أو أستراليا ونتزوج هناك وندع الديار لهم

ضحك وقال : ونخسر الأهل

فأضافت بتردد : بعد حين تتغير الأحوال يا دكتور .. وعندما يكون عندنا أولاد سينتهي الإشكال وقد نعود

قال مشككا : الهجرة وهل أمرها ميسور يا دكتورة ؟!
قالت : نذهب للسفارة المعنية ونقدم طلب هجرة وسببه أو نطلب لجوءا سياسيا
قال ساخرا : لجوء سياسي.. وهل نحن نعمل بالسياسة وترانا مضطهدين من الحكومة ؟
قالت : نحن مضطهدون من أهلنا يا شاهد ! وهؤلاء الأجانب كما نسمع يدعمون الكفاءات العلمية والمضطهدين
حملق فيها وقال : وهل يستسلم والدك القائد للأمر الواقع يا دكتورة ؟
قالت بسخط وحدة : استسلم أو لم يستسلم لا يهمني ماذا سيفعل غير الغضب والسب والسخط ؟
لما هدأت وصمتت قال : هذا الحل الثاني والثالث!
ـ الثالث الانتظار لعل الله يحدث أمرا
قال بنكد للحال : نحن نكبر .. أنا عندي ثلاثون سنة وأنت سبعة وعشرون .. الانتظار انتظار ماذا؟!
صاحت بصوت مرتفع إلى حد ما : موت أبي .. انتظار موت أبي ؛ فأنا لا أسال عن أمي أو اخوي
قال بحيرة من فكرها : يا الهي ! هل تتحملين عداء اهلك واهل عمك وجدك؟
قالت بحدة وغضب : أنا لا احسب إلا حساب أبي فقط
قال: وأهلي هل يقفون معي ضد أسرتك ؟ والزواج برضا الأب افضل يا نادية ! لا ادري هل تقبل أمي وأبي هكذا زواج يا نادية ؟ فلنفكر بالهجرة ؛ ربما تكون هي الأمثل والأسهل على أسرتي سأطرح الأمر عليهم
قالت : فلنبحث عن بلد أوروبي أو حتى أمريكي نرحل اليه ونتزوج ما دمنا لا نستطيع الزواج هنا رغم انف الأسرة
ـ ألا من حل رابع ؟أنا كنت أظن أن شرفا سينساك بمجرد تيقنه من قوة حبنا وعلاقتنا

ضحكت وقالت : شرف لا يهمه الزواج مني .. وهل تظنه بلا نساء وخليلات هو كان سافلا من عهد أبيه الوزير .. المشكلة أبي وعمي يا شاهد !

الفصل الثاني

نهضت سلوى الخازن لفتح باب الشقة فاذا بها ترى الزميل شاهد حماد صاحب زوجها وليد من أيام كلية الطب وابن كليتها وصديق زميلتها نادية علي فقالت بترحاب : أهلا شاهد وصافحته وهتفت : صديقنا يا وليد الدكتور شاهد

خرج الدكتور وليد صديق مرحبا بصديقه ورفيق دربه أثناء الجامعة : تفضل أنا في المكتب أهلا يا دكتور . فلما تصافحا وتعانقا أخذه لغرفة الزوار .

قالت سلوى : مرحبا بالدكتور ما أخبار الدكتورة العروس ؟

ضحك وقال : جئتكم من اجل الدكتورة العروس

جلسوا وقال وليد : أهلا ومرحبا بالعزيز الغالي وقبل الحديث عن الصديقة نادية علي ماذا تشرب يا صديقي ؟

ـ قهوة دون سكر

انتقلت سلوى لصنع القهوة في المطبخ وتحدثا عن العمل والشغل ومشاكلهما حتى جاءت سلوى بالقهوة والماء وقدمتها للضيف وزوجها ووضعت كوبا أمامها وقالت : تفضلوا وتمتعوا بقهوة سلوى .. تشرفنا بالصديق الغالي .. لقد اشتقنا أن نراك عريسا

تبسم وقال بنغمة حزينة : الأمر معقد كما تعلمون القصة يا دكتور وليد

ـ لقد ذكرت ذلك لي مرارا .. عقلية غريبة .. هل من جديد ؟

قال: أنا جئت من اجل الجديد يا دكاترة

قال وليد بصراحة : أتحب الكلام أمام سلوى ؟

نظر إلى سلوى وقال : عادي ليس الموضوع سرا وتبسم لهما

قالت : يا عزيزي اذا في حرج انسحب

صاح بانفعال : أبدا أبدا يا دكتورة ! الأفضل أن تبقي أيتها العزيزة

قالت : شكرا ، فقد كنا نجلس معا سواء في المستشفى أو خارجه

قال: ليس لديّ أسرار .. فكما تعلمون فقصتي مع نادية معروفة للجميع من أيام الدراسة.. فإننا نحاول حل مشكلتنا .. لقد عرضت عليّ الزواج بدون موافقة أهلها فرفضت

قال وليد : هذا جيد !

تابع شاهد مبتسما : عرضت عليّ المزيد من الانتظار بمعنى موت والدها لتنطلق من كل قيود العائلة ؛ لأن والدها ما زال مصرا على زواجها من ابن أخيه شرف .. وهي كما تعلمون مصرة على رفضه ، وشرف ابن عمها لا يريد إغضابه من اجل لحيتها .. والعجيب في شأننا موقف أمها المصر على هذا القران من ابن الوزير الميت .. وأنا كما يعلم وليد وأنت عرفتها في الجامعة كطالبة وزميلة وصديقة ثم تعلقنا ببعض ثم عرفت مَن أبوها واخوها وعمها ثم بعد تخرجها كشفت لي قصة ابن عمها

قال بألم : لقد نصحتك لما همست لي بموقف والدها وأمها بالابتعاد عنها ودعك من ذكريات الجامعة وفض الشراكة ترتاح

التفت لسلوى وقال : الحب آه الحب يا مدام سلوى !

فقالت سلوى ضاحكة : اسأل مجربا كما يقال ولا تسأل طبيبا

غمرهم الضحك فسلوى ووليد عاشا قصة حب بين مدرجات الكلية ونفس القصة فنادية أحبت شاهدا وسلوى تعلقت بوليد زميل شاهد ، ولما أنهت الكلية تزوجا قبل أن تمسك أي عمل فقالت سلوى: والحل الثالث

تابع الضحك وأجاب : وأنا جئت إليكما من اجل الحل الثالث

قال وليد : ونحن نسمع الاختيار الثالث

ـ ترغبني بالهجرة لأوروبا لنتزوج هناك وبدون مضايقات .. وانا لست متحمسا لهذا الاقتراح فلست مضطهدا سياسيا لأفكر بالهجرة ، ولست بحاجة للدخل الكبير في الزمن الحالي ..هذا

ما ارغب سماع رأيكم فيه أيها الأصدقاء الأعزاء

قالت : هو حل صحيح يا دكتور ! ولكن هل تراه يحل الإشكال مع أهلها يا دكتور وليد ؟

قال وليد وهو يضع كوب الماء على المائدة : هو حل .. نعم حل.. وهل يقبل والدها العميد الركن هذا الهروب ويسمح به ويسكت مغلوبا على أمره ؟!

قال بهمس كأنه يخشى أن يسمعه احد: سنهرب أو نهاجر سرا ومتفرقين متباعدين

قال وليد متخوفا :اخشى عليك منهم .. فهم أسرة قريبة من السلطة سواء عسكريا أم مدنيا

فقالت : وتتعرض حياتك للخطر يا حضرة الدكتور !

قال مستوضحا الخطر : كيف ؟!

قالت بتردد : لا ادري كيف التفاصيل !.. وستضع أسرتك في موقف حرج ومؤلم .. وأنت ستعيش هناك بصورة متخفي

فقال : أتراهم يقتلونني ؟

قال وليد : لا اعتقد الأمر يصل لذلك أو يفعلون ذلك قد تصعب عليك العودة وستعيش في توتر وقلق .. قد يؤذونك بأي صورة أو يؤذون أسرتك

قال كأنه يستشرف ملاحظات وليد : من اجل ذلك أنا متردد جدا في قبول هذا الاقتراح .. صحيح هناك قانون يعني قانون وقضاء اقوى من قضاء العرب يُصعب عليهم الإيذاء

قال وليد : حقيقة يا شاهد الموقف صعب .. هو حل هو حل ؛ لكنك ستظل في عجز من زيارة الأهل خاصة الوالدين .. افرض مرض احدهم واحتاجوا لرؤيتك ستأتي خفية وتعود خفية

فقال بحيرة ويأس : هل لديكم حل آخر ؟

قالت سلوى : الانتظار ولكن إلى متى .. قد يعيش أبوها إلى مائة سنة .. وما ينفع زواج بعد زمن طويل

قال وليد : الأفضل يا صاحبي كما نصحتك سابقا ومنذ عرفنا بحكاية ابن العم قلت لك أن تنسى الحب وتضغط على عواطفك وتطلب منها أن تدعك وكل واحد يبحث عن شريك آخر

يعيش معه

قال شاهد باسما : الكلام سهل .. هذا امر سهل ؛ لكن تعلقنا ببعض كبيرا يا صديقي ! وهل تراني سأنجح في زواج آخر وحب آخر .. ألا ادمر حياة فتاة أخرى ؟

قالت مواسية صديقهم : الحل كما قلتم الانتظار حتى يقضي الله أمرا مفعولا ؛ لأن تركك إياها وهي متمسكة بك بكل هذه القوة سيتعبك نفسيا وزمنيا ، وقد لا توفق في علاقة مع أنثى أخرى واذا تزوجتها رغم انف أهلها قد تجبر على طلاقها .. المشكلة عند أبيها وعمها .. وشرف لم يتخل عنها فليس حبا بها كما نعلم ؛ لكن لخاطر والده الميت وعمه وأمه وأمها وحتى سمعت أن الجد عرفة يتعصب لذلك الزواج .. أسرة عجيبة ما بين ضابط ووزير يصممون على هكذا زواج لا خيار فيه للبنت

قال شاهد : الهجرة تعني صعوبة العودة وهجر الأهل أيضا .. ونحن عائلة مترابطة .. والوالد يعول عليّ بإدارة شركة الدواء عندما يترك الإدارة

قال : أكيد لن تتقبل عائلتها عودتها بسهولة لحضن العائلة .. ستعيش منبوذة ومتمردة وقد تتعرض حياتكما للغدر .. فهل يقبل سيادة العميد بزواجها رغما عنه وعن رغبته ؟! لا أظنه يقبل يا دكتور شاهد .. وابن عمها يعجز أن يرفضها وهو الأقوى منك ويعلم حبها لك لا يستطيع أن يقول لا .. لماذا يقول لهم لا ؟فلتتزوج من تشاء

قال شاهد معترفا : وأهلي اليوم ليسوا متحمسين لزواجي منها أمام تشدد أبيها وأسرتها وهي وحيدة أبويها بين ذكرين

فقال وليد : ولماذا لا تهاجر وحدك؟ وتتزوج أجنبية وستكون معك هنا بلا أسرة يا صديقي تحسب لهم أي حساب

فقالت سلوى غير معجبة بالفكرة : وهل اذا ابتعد عنها تبتعد عنه وتنساه ؟

قال : لدينا طبيبة في القسم الذي نشتغل فيه عرفت قصتنا ومشكلتنا فقالت لي يا رجل انقطع جنس النساء تزوجني أنا ولتتزوج ابن عمها وتنتهي القضية

فضحكوا وقالت : بماذا أجبتها ؟

فقال : قلت لها ستقضي عليك نادية .. لن تتخلى عني بسهولة .. لنا اكثر من خمس سنوات نعيش معا منذ التقيت بها بالجامعة

فقالت بجرأة : نمت معها !

قال : كاد أن يحصل ذلك لولا أنني مسكت نفسي

ـ أي أنها ما زالت عذراء

قال: هذا ما اعرفه

قالت : هل يقبل ابن عمها زواجها وهي غير عذراء؟

ـ لست ادري ! لم أقابله وخشيت أن اقع بهذا الفخ

الفصل الثالث

كانت أم عمار الدكتورة ريناد أمجد تجلس مساء مع زوجها علي عرفة في غرفة الاستقبال حينما سمعا رنين جرس الهاتف وسمعا الخادمة تقول : تلفون لك سيدتي !

فنهضت ووضعت سيجارتها على منفضة الدخان وأخذت السماعة من يد الخادمة الأجنبية وقالت : نعم أنا أم عمار مين ؟

ـ مساء الخير أنا أم الدكتور شاهد صديق ابنتك الدكتورة نادية

قالت ريناد مرددة : أم شاهد صديق ابنتي نادية أهلا ومرحبا سيدة أم شاهد

ـ ارغب بالجلوس والالتقاء بك بعض الوقت

قالت بتفكير : ترغبين باللقاء بي شخصيا لماذا ؟!

ـ موضوع مهم لا ارغب بالحديث عنه في الهاتف

قالت : حول ماذا الموضوع ؟

تنهدت المرأة وقالت : حول شاهد ونادية

قالت : متى وأين ؟

ـ في مطعم الشجرة شجرة البرتقال حي المتحف شارع الأزاهير

قالت : ضروري

ـ ضروري ومهم يا سيدتي ! وفي اقرب وقت يا أم عمار

قالت : وحدي أم معي زوجي

ـ الأفضل وحدك واذا رأيت الكلام مناسبا مع زوجك فانقلي له الكلام .. متى نلتقي قبل فوات الأوان ؟

قالت: حسن غدا الساعة الرابعة عصرا مناسب

ـ جيد جدا سيدتي الفاضلة الرابعة عصرا

أغلقت التلفون وعادت للجلوس وهي واجمة تفكر بما سمعت وتقول : أم شاهد صديق نادية يا له من تعريف ؟! ماذا تريد منا ؟!

أطفأ علي سيجارته وتناول القهوة من الخادمة سيلونا وضحك وقال : أم شاهد صديق الدكتورة يا ماذا ترغب منك ؟هذه أول مرة تتكلم معك

قالت : لا ، أيام الدراسة عرفتني عليها نادية وتحدثت معي عن خطبة شاهد لابنها ورفضت متابعة الحوار ماذا في جعبتها اليوم ؟!

فقال مفسرا : وهل هناك بيننا غير زواج ابنها من الدكتورة ابنتنا الحمقاء

كانت نادية تهبط الدرج من الطابق العلوي عندما وقعت في أذنيها صفة الحمقاء فصاحت بغضب : لست حمقاء يا أبا عمار ! الواحدة تتزوج مرة واحدة بمن تختاره هي ؛ وليس من يختاره أبوها أو أهلها .

وتناولت سيجارة من علبة سجائر أمها وأشعلتها وأشارت للخادمة بإحضار كوب من القهوة وجلست وقالت : لن أتزوج شرفا ولو فرشتم الأرض لي ذهبا

قال علي بشدة : ستتزوجين شرفا بدون أن نفرش لك الأرض حصى

فقالت أمها داعمة لقول علي : ولن تتزوجي شاهدا ونحن أحياء

ردت بتحدي : ولن أتزوج غيره

قالت : اتصلت أم الدكتور صديق ابنتنا ماذا عندها لترن علينا ؟

تطلعت في عينيّ أمها وقالت : من اتصل بكم ؟!

ـ أم شاهد

قالت مكررة : أم شاهد !

ونهضت قائمة بسخط إلى الهاتف ورنت على بيت شاهد ولم يرد احد ، فاضطرت لتتصل بشقة أمه ولما ردت الأم قالت : لماذا اتصلت بأمي ؟!

ـ من قال لك ؟

قالت بضيق وحدة : الآن قالت أم شاهد اتصلت .

ـ غدا سألتقي بأمك وتعرفين

قالت : أين شاهد ؟

ـ شاهد ذهب لزيارة أخته هناء

قالت بعصبية : لما يعود حضرته يتصل بنا مع السلامة

وعادت للجلوس والتدخين وتشرب القهوة وقالت : لم تقل شيئا ماذا تراها تريد منك ؟

قالت ريناد : هل هناك غير الزواج ؟

***

ما صدقت الدكتورة نادية أنها وصلت مستشفى العمل لتلقى صديقها وحبيبها شاهدا ؛ فإنها في لهفة شديدة لرؤيته لتعرف سبب اتصال أمه بأمها ، لقد عاودت الاتصال مرات في شقته دون رد ، وقد امتلأ قلبها غيظا وأفكارا سوداء وفضولا كبيرا لمعرفة سبب اتصال والدته بأمها ، ولم تر شاهدا في غرفة استراحة الأطباء ، ولا في سجل الدوام اليومي ، ثم ولا في قسم العمل ، ثم علمت أن الطبيب أخذ إجازة من يوم امس فقالت بقلق : إجازة ! واتصال امه ! ما القصة وقالت بصوت مرتفع: لماذا لم يخبرني ؟ هل هو مريض ؟

فقالت رئيسة القسم : ولماذا يخبرك ؟ لم تتزوجا بعد حسب ما اعلم . وضحكت

ـ نحن شبه مخطوبين يا دكتورة إيناس

ضحكت وقالت: صحيح ! أنت كنت امس في إجازة .. قبل مغادرته تلقى اتصالا أظنه من البيت وغادر قبل إنهاء الدوام ثم اتصل وطلب إجازة

ـ طلب إجازة ! هل تحدث أمامكم عن سبب الإجازة

قالت إيناس إدارية القسم : كأنه قال للزميل حامد أن ابن أخته تعرض لحادث سيارة وادخل المستشفى فهرع إليه

همست : ابن أخته ! أنا كلمت أمه امس مساء امس .. ولم تتحدث بشيء يا إيناس

قالت: هذا ما سمعته يقوله للدكتور حامد ، وكان على من ستكون حماتك أن توضح لك

سخرت من حماتها وقالت : لا تحبني منذ عرفت بصداقتنا .. إنها حماة .. شكرا على الإيضاح سأكلم أمه التي ستكون حماتي مرة أخرى أو أباه أو حتى أخته.. يبدو أن الحادث مع ابن أخته في مدينة غلاب

ـ غلاب إنها بعيدة

ـ اعتقد هي، لقد اتصلت بعد العشاء وقبل حضوري لا جواب لم يبت في الشقة يبدو ؛ لكني لا اعرف رقمها حضرت حفل زفافها هنا قبل عودتها لبلد زوجها لؤي مجاهد ولولا ارتباط شاهد بي لتزوج أخته لمياء فهم أقارب

ولما أنهت الدكتورة عملها الصباحي ذهبت لبيت أسرته في المدينة فعلمت أن أم شاهد خارج البيت ومشت لمقابلة أمها أم عمار فسألت : أين المقابلة ؟ولماذا اخذ شاهد الإجازة ؟

فقالت الخادمة :لا اعرف يا دكتورة مكان المقابلة .. والدكتور رافق والده وشقيقه امس لمدينة غلاب حيث وقع حادث لابن أخته هناء

ـ الخبر صحيح إذن .. أسمعت عن ذلك المستشفى ؟ هل من رقم هاتف لها ؟

أحضرت الخادمة رقم منزل هناء أخت شاهد، فهي منذ لحقت بالعمل بمنزل والد شاهد

الدكتور الأخصائي الكبير وهي تعلم بعلاقة شاهد ونادية وحلم زواجهما ، ولقد جاءت مرات للغداء أو العشاء مع الأسرة ، كانوا يرون الزواج بينهما مفروغ منه ؛ إنما هو مجرد وقت ليتحقق حلم حياتهما ، والكل كان يتوقع زواجهما بعد تخرج نادية مباشرة، ثم شاع خبر رفض زواجها من قبل أبيها ورغبته بتزويجها لابن أخيه وهي ترفض إلا الزواج من الدكتور .

أخذت نادية الرقم وغادرت منزل أسرة شاهد ، ولما أصبحت في الشارع تلفت باحثة عن محل فيه هاتف لتتصل ببيت أخته ، ولما ضربت الرقم لم يرد عليها احد ، فعادت لسيارتها وكلها سخط ونقمة وهي تعلل النفس بالاتصال من البيت ، وطول الطريق للبيت تقول: أين ستلتقي المرأتان ؟ نسيت أن آخذ عنوان المكان وزمانه .. وهذه أول مرة اسمع بلقاء بينهن ما الأمر ؟ فالدكتورة غدير أخصائية كبيرة تدير مستشفى والدها الدكتور عبد الرحمن ، والدة شاهد لما سمعت برفض أهلها لابنهم ،كشت منها ومن أهلها وتكرههم فقالت : إنها تكرهني بشدة كأنني خدعت ابنها .. الكره في عينيها بين.. نعم حل مشاكلنا مع كلا الأسرتين الرحيل عن هذه البلاد لبلاد الشمس والحرية فلا أهل ولا أقارب .. آه !! يا أبي ظلمتني .. شرف تكلمت معه مرات هو لا يهمه الزواج مني ليصرف نظرا فقال على أبيك أن يعتذر عن زواجي منك وليس أنا .. هو الكبير والسيد.. لست المهم المهم والدك .. لست متعلقا بك يا نادية عندي النساء شيء واحد.. لست شاعرا عاشقا ولهانا .. والزواج لابد منه.. هكذا يقول وأخواي عاجزان عن صرف والدي عن شرف وأتزوج من أشأ.. يا لها من حياة !

الفصل الرابع

أوقف العميد المتقاعد علي عرفة السيارة الخاصة به أمام مطعم ومقهى شجرة البرتقال في شارع المتحف أو شارع الأزاهير وفتحت زوجته ريناد الباب الخاص بها من جهتها اليمنى وهي تقول : أين سنلتقي ؟

أشار إلى الأمام إلى مقهى يبعد قليلا عن مقهى البرتقال : هناك مقهى أبو السمك ترينه خرجت ووقفت على باب السيارة تنظر لإشارة علي باتجاه المقهى وقالت : حسنا رأيته .. مع

السلامة لن أتأخر ؛ إنما هي بضع دقائق

ـ سأجلس هناك انتظرك

دخلت المطعم الكبير والشهير في ذلك الشارع ، ولما اختفى جسمها داخل المطعم تحرك علي جهة مقهى أبو السمك وهو يردد في نفسه مع علاقة السمك بالقهوة والشاي

لما اجتازت أم عمار المدخل وقبل أن تسأل احد الخدم رأت امرأة تلوح لها وتهتف باسمها فتقدمت نحوها وصافحتها وهي تهتف : أم شاهد تحياتي

ـ أهلا سيدتي أنا في الحقيقة أم كريم والدكتورة غدير عبد الرحمن وشاهد أحد الأبناء حياك الله يا دكتورة

ـ أهلا بالدكتورة غدير وانا ريناد أنا دكتورة جامعة متقاعدة إلى حد كبير

ـ تشرفنا

وجلستا على مائدة كانت غدير قد حجزتها بواسطة الهاتف في قاعة خاصة وأخذتا بالترحيب ببعضهما وأشارت غدير للنادل فاقترب وقالت : ماذا تشربين يا دكتورة ريناد

ـ قهوة فنجان صغير

ـ وانا مثلها مسيو نونا هو هندي أو باكستاني أهلا بك أم عمار

بعد حضور القهوة ومع أول رشفة قالت ريناد : لقد شغلني اللقاء والغاية منه يا أم كريم

قالت : وانا مثلك مشغول .. نحن الأسرة كنا فعلا نرغب بزواج شاهد من ابنتكم الفاضلة لكن علمنا أنكم ترفضون ابننا لرغبتكم بتزويجها من ابن عمها الأستاذ شرف منصور .. والفتاة متعلقة به وترفض قريبها ومصرة على الزواج من ابني وهو يسعى لذلك وتحمل هاتين السنتين لعل الوالد يتزحزح عن قراره الصارم

قالت ريناد : حسن حسن يا أم كريم نحن نرفض زواجه لظروف خاصة بالعائلة نحن عرفنا شاهدا زميلا لها في الجامعة حتى انه اكبر منها بسنتين أو ثلاث حسب علمي وقلنا زملاء جامعة وكلية بعد التخرج ينتهي ما بينهما ولم نفكر بأنهما يخططان للزواج إلا بعد تخرجها

ـ صحيح .. شاهد اكبر منها بسنوات ثلاث وتقدم عليها بالتخرج .. ونحن لما علمنا برفضكم حاولنا صرفه عنها والزواج من غيرها .. نحن لم نكن نعلم عمق العلاقة بينهما حتى لما كانت تأتي معه للبيت كنا ننظر للإمر كمجرد زمالة جامعة ..واستخدمنا وسائل وإغراءات ليبتعد عنها ؛ ولكنهما يصران على الزواج .. وانتم مصرون على زواجها من ابن عمها

قالت : نحن لا نعيب الدكتور الشاب شيئا يا أم كريم ومعرفتنا به بسيطة ،ولكن زوجي وعمها كانا متفقين على تزويجهما قبل دخولها الجامعة ولكنها رفضت الزواج أثناء الدراسة خشية الحمل كما تحججت ، وهي لم تكن تعرف شاهدا تلك الفترة وسكتنا على علاقتها بالشاب قلنا لعلها تغير رأيها .. والشباب في الجامعة لا يستقرون على فتاة ولا الفتاة تستقر على شاب في الغالب والان ما سبب هذا اللقاء ؟

قالت : نعم ، أنا أحببت هذا اللقاء يا أم عمار ؛ لأن شاهدا حدثني بأنه يرغب بالهجرة وترك الوطن ليتمكن من الزواج من ابنتكم

صاحت دهشة: الهجرة!

ـ هذا ما قاله لي ، قال لا حل لمشكلتنا إلا بالخروج من البلد .. وأنا لم يعجبني هذا الحل ولا حتى والده وإخوته وأخواته ، ثم علمت من حضرته أن هذه الفكرة تكلمت بها نادية علي ونحن لا نحب له أن يهاجر فلدينا مصانع دواء وشركات تحتاج لهم مع تقدم العمر بأبيه فلسنا بحاجة لمال أوروبا فإما أن يتزوجا هنا أو أرجوكم من كل قلبي أن تبعدوا ابنتكم عنا وتنساه وينسيان ما يسمى الحب والهوى

قالت بنبرة حادة : أكيد نادية صاحبة هذه الفكرة !

ـ نعم أكيد وشاهد لا رغبة له بالهجرة

قالت : سأتحدث مع ابنتي واخبر والدها بهذه الأفكار الساذجة .. والأفضل أن يبتعدا عن بعضهما

قالت غدير : هذا هو الأفضل لنا ولكم

قالت ريناد : صحيح هذا الأفضل للأسرتين

***

لما صعدت ريناد السيارة واشتغل الماتور وسمع علي بالهجرة والهرب سرا قال : اذا صح هذا الكلام فهذه بنت خبيثة ، نعم يا ريناد علينا التصرف فهذا عمل قبيح ومسيئ للعائلة كلها ولشخصي شخصيا ابنة العميد هربت للتزوج من عشيقها

قالت مؤكدة سوء فكرة نادية : أكيد هذا عمل قبيح ! ماذا سنفعل لمنع ذلك الطيش والهبل ؟

رفع صوته صارخا : لن ارضخ أبدا للتتزوج منه .. فهل تضغط علينا بهذا الجنون لإرغامنا على العقد عليه لزواجها منه؟ هذا سيكون الحل في نظرهما الهرب للخارج .. لا اعتقد أن زواجها منه سينجح .. هو تورط بقصة حب كما يقال .. فقد حدثني كمال من أيام أن شرفا ملّ من الانتظار ، وقد استدعاه للشركة وتحدث معه وهو يفكر بالزواج واذا وافقت عليه في أي وقت فهو مستعد لأن يتخذها ضرة.. وهي يستحيل أن تقبل بأن تكون زوجة ثانية

عادت تقول : ما العمل قبل أن تهرب وتعمل لنا فضيحة ؟ فالرجل معه حق بالزواج فقل صبر وانتظر على امل الزواج بعد التخرج مباشرة

قال بحدة: هذه المجنونة اذا تزوجت غير شرف لن أتعرف عليها .. ولن ارحب بها في البيت حيا ولا ميتا سأوصي عمارا وكمالا بذلك .. أنا القائد الذي قاد آلاف العساكر يخضع لفاسدة وعاقة وسأمنع نفسي من رؤيتها والكلام معها

قالت :حدثتها ولوحت لها بذلك كذا مرة ، ولم تكترث ولم تهتم لابد من حل يا علي

بعد صمت لدقائق وتأمل بفكرة الهجرة قال : ما دام شرف اللعين يهدد هو الآخر بالزواج فلتهاجر خير لنا

قالت : الدكتور لا يرغب بالهجرة كما فهمت من أمه ولديهم أملاك ومصانع أدوية وشركات تحتاج لهم على كبر كما قالت أمه وليسوا بحاجة لمال وجواز اجنبي ولو رأها الفكرة حلا لهاجر دون مشاورة الأسرة .. فهو غير مستسيغ لفكرة الهجرة

ـ معك حق .. فعلا لو يريد الهرب خفية ما كشف الأمر لأمه .. فلندع الأمر بينه وبين أهله فلتهاجر كما تشاء.. وأنا سأصّبر شرفا بضعة اشهر ما دامت تفكر بالهرب فلتهرب ثم فليتزوج من تشاء بعد هربها

قالت بتأمل : هل هذا هو الحل في رأيك ؟ فلماذا لا نسمح لها بالزواج يا علي بدلا من الهجرة

صاح بغضب كأنه في حرب : لا اقبل الهزيمة قبل هربها

ـ هزيمة !!

علل فقال : سيفشل زواجها وتعود مثل الكلبة الجربة لابن عمها

حركت رأسها غير مقتنعة بأمله وقالت : هذه علمها عند الله لا اله إلا الله

قال : أنا ثابت على وصية أبي واخي منصور .. لا يعني انه مات أن اخل بوصيته ورغبته

ـ شقيقك منصور مات رحمه الله .. وهو رأى هذا الحل لسمعة العائلة وكشف أسرار العائلة لأي خطيب بسبب تلك الحادثة

قال متنكدا : الوصية لم تمت يا ريناد

تنهدت وقالت: سننظر ماذا ستفعل لما تعرف أننا عرفنا بفكرتها الحمقاء ؟

ـ جيد يا ريناد ! تحدث معي ابن أخي المهندس محمد منصور

ـ بماذا ؟

قال : عن موضوع نادية وشرف ونهاية الانتظار وأيضا بنت اختنا فاطمة ورود طلبها شاب اسمه عصام نسيت باقي الاسم .. يريد أهله التعرف على أخوال العروس التعرف علينا وخاصة أنا

سألت بدهشة : ولماذا لم تتكلم أختك أم هشام معك مباشرة ؟

قال : لا اعلم الظروف والشاب مهندس مثل ابن أخي منصور ولعله موظف عندهم وزميل لهم ؛ وكأن والد عصام رجل كبير في الدولة ، وورود كما تعلمين تعمل في التعليم ؛ ولكنهم لم يحددوا وقت المقابلة وأنا خالها هل ترافقينني ؟

ـ سأفكر لما يتحدد وقت اللقاء .. لم تحدثني ابنتنا اللعينة عن الهجرة ولا بشيء لو لم يتكلم شاهد لأمه ما عرفنا

ضحك وقال : ويلك .. وهل هي تتحدث معنا ؟ منذ رفضنا عريس السعد ، لقد صرنا أعداء لولا الحياء لا ترد علينا التحية ..صرنا أعداء لها

قالت : لابد أنها في انتظار عودتنا ، فهي منذ علمت باتصال أم كريم الدكتورة غدير وهي في غاية القلق والفضول

قال مادحا ابن أخيه : والله شرف ولد رائع رجل أعمال من أيام أبيه وفهمان .. وله مستقبل في عالم المال والاستثمار ويفكر بإقامة بنك مع إخوته

عادت تردد : هو يرغب بالزواج كما صارح كمالا

ـ هذا ما نقله لي لقد زهق وملّ من الانتظار

قالت : معه حق يا علي نحن زهقنا منها وأمه شموسة ملت اكثر منه صدف أن تحدثنا في ذلك

***

لما دخل علي ورينا د البيت هبطت نادية من الأعلى مسرعة حينما سمعت صوت السيارة تدخل موقفها المنزلي فتركت غرفتها وقالت لهما : ماذا تريد أم كريم من أم عمار ؟

تبسمت ريناد وقالت متهكمة وهي تعلم لهفة نادية لتعلم موضوع اللقاء : انك قلقة من ليلة امس .. ألم تلتق بشاهدك ؟

وقبل أن تجيب قال علي مجيبا : أم كريم لا تحب الهجرة والهرب لابنها هذا موضوع المقابلة

رددت نادية: هجرة ابنها ! يعني أن شاهدا شاورها في هذا الاقتراح ولم يحظى بالقبول والرضا

قال : ترغبين بالهرب يا نادية

قالت ببرود : هذا احد الحلول التي نناقشها لنتزوج مثل خلق الله

قالت أمها بجفاء : هاجري .. هذا احسن لنا أمام العائلة الكبيرة ، ولن نعتبر هذه تمثيلية للضغط علينا من قبلك وقبل أم كريم

صاحت ببغض للفكرة والإيحاء : ليست تمثيلية ولا مؤامرة ولا وسيلة ضغط .. الرجل يريد الزواج وأنتم ترفضونه وتصرون على رفضه.. هل نتزوج سرا وخفية ؟

قال علي : انتظري موتي قد تلين أمك بعد موتي

فقالت : هذا احد الحلول يا أبا عمار ! أنا لن أتزوج إلا شاهدا .. أنا أحببته ورأيته رجلي الوحيد بين رجال الدنيا

قالت أمها فجأة وهي تحدق بعيني ابنتها : أنت عذراء يا نادية !

بحلقت في عيني أمها بحقد وسخط : هذا لا يهمك ..عذراء أم عاهرة.. عمري سبعة وعشرون سنة .. هل ترين أن شرفا شريفا ولا يقرب النساء وينتظر أن أتصدق عليه بجسدي ؟ وانا لا تهمني العذرية .. فهي موديل قديم ولا أحدا يهتم بها إلا المتخلفون .. ونحن لسنا أسرة متدينة لتشغلنا مثل هذه الفكرة

قال علي مفسرا : افهم انك امرأة بدون عقد

صرخت فيهما : افهما ما شئتم .. اذا لم نتحصل على الهجرة سأترك البيت وأعيش وحدي ولا تهمني سمعة العائلة .. نحن تربينا مثل الأجانب نلبس ما نشاء ونسبح أمام الشبان بلباس الماء ونأكل الخنزير ونشرب الخمر ونتعامل بالربا .. ونسمع عن الصلاة والصيام من الناس وطلاب الجامعة وذلك عندما كنا في الجامعة .. وهل تظن أن ابن أخيك لليوم لم يقرب امرأة ؟ لا توجد امرأة في نادي الفرسان لم يغازلها .. لن انتظر موتك .. اعلم لو يوافق لتزوجته منذ أنهيت الكلية

صاح فيها غاضبا ومهددا : أنا اعلم أنك وقحة وقليلة أدب منذ دخلت الكلية .. نحن صحيح لسنا أسرة متدينة لنهتم بعذريتك .. فها هو الخمر في البيت .. واعلمي أنني لم ازنِ في حياتي حتى وأنا في دورات خارج البلاد ولا قبل ولا بعد الجيش ؛ وليس ذلك تدينا ؛ إنما أخلاقي لا تسمح لي بذلك ؛ لأن في الزنا إيذاء للآخرين سواء كانت المرأة عزباء أم متزوجة

وقالت بصراخ وردا صارخا: وانا لم ازن يا أبي بشاهد أو غيره ليس خوفا منك ولا من أولادك أو العائلة.. أخلاقي الشخصية لم تتهاون في هذا مع أي معاكس ومغازل .. ولو طلب مني

المعاشرة لقبلت وفعلت .. ولا اعرف أنه عاشر امرأة متزوجة أو عاهرة ..كما يفعل الكثير من الإباحيين ..عليّ الرحيل عنكم .. سأرحل برضا وغير رضا

قال بعصبية وانفعال : أنا لن اقبل زواجكما وأنا حي حتى ولو تزوجتيه بدون موافقتي .. تزوجي بدون موافقتي وقبولي

قالت بغم : شاهد جبان .. لو يقبل دون موافقتك لتزوجنا زمان ولو سرا

قالت ريناد : شاهد يحب عائلته ولا يخالف والديه

قالت : أنا تعلمت الحرية في اخذ القرار والحياة .. واختار ما أريد .. لا احد منكم يحدثني عن الشرف والفضيلة

ضحك أبوها وقال ساخرا: يبدو انك نسيت قصة النادي والشاب سمير

صاحت : لم أنساها ، كنت مراهقة وكنا نسبح معا كما تعلمان ونفعل ما يفعله كل أبناء وبنات النادي .. احبني وأنا لم احبه .. قبلت صداقته فقط بحكم وجودنا في النادي

قالت أمها : لكنه حاول اغتصابك باسم الحب

ـ نعم ، حاول اغتصابي .. نعم ، حاول اغتصابي .. ظنا منه اني موافقة على العبث ، ثم انتهى ما بيننا ، وصفعته حتى سمع صرخته كل من كان معنا في الماء ..ومنع من دخول المسبح .. لقد حاول اغتصابي باسم الحب

الفصل الخامس

خرجت في الصباح التالي مبكرا للنادي رغبة في السباحة قبل الذهاب للعمل وكانت لها غاية غير العوم وهي الالتقاء بشرف فهو من عادته دخول الماء قبل العودة للبيت أو الذهاب للشغل فهو يدخل مكتب الشركة مع العاشرة إلا اذا كان مسافرا خارج المدينة

انطلقت بسيارتها حيث النادي الذي فيه عددا من المسابح وهي مختلطة فهناك مسابح للبالغين وأخرى للأطفال والصغار وهناك مسبح للمراهقين جلست على مقعد قرب البحيرة فوجدت ابن عمها يسبح وقربه فتاة فقالت مخاطبة نفسها : إنها سكرتيرة المكتب غالية دبوس لابد أنها

عشيقة لتحظى بالوجود معه هنا

فخلعت ملابسها ونزلت الماء حتى لمحها شرف فاقترب منها وحياها : نادية صباح الخير زمان لم ارك هنا .. أين شوشة (يقصد شاهدا) لم يستيقظ بعد

تنهدت وقالت : جئت بدونه .. كيف حالك ؟ وأشارت برأسها لسكرتيره التي تراقبهما وقالت : عشيقتك الجديدة يبدو

ضحك وقال : أترانا سنعيش سوية يا نادية ؟ كيف الغيرة عندك ؟ ألم يقتنع اهلك بأنني غير صالح لكم ؟

ـ لماذا يصرون على زواجنا ؟

قال باسما: صدقي لا اعلم منذ وعيت وهم يرغبون بذلك، والكل يعلم أننا لا نهوى بعضنا متى نتحرر ؟

اقتربت السكرتيرة غالية منهم فقال لها : أتعرفينها ابنة عمي الطبيبة نادية ؟

قالت : اعرفها وتعرفني أهلا دكتورة

قالت نادية : أهلا بغالية سكرتيرة ابن عمي .. هل اقتنعت بالزواج من شرف ؟

ضحكت الفتاة وقالت : لعل ذلك يحدث يوما ما ؛ لكني علمت انهم يرغبون بتزويجكما غصبا عنكم

تنهدت نادية وقالت : افكر بالهجرة أنا وشاهد ما رأيك يا شرف ؟

هنف عجبا : والله فكرة جريئة ! لكن كيف ستعيشان في الغربة ؟

قالت : كما يعيش الناس

ـ لماذا جئت ؟

قالت : جئت لأراك وارى أي امرأة ترافق هذه الأيام

ضحك وقال : كل الناس يعرفون إلا اهلك

ضحكت وقالت : فعلا ؛ لكن أبي لا يهمه العبث مع النساء يا شرف .. الذكور يفعلون ما يحلو

لهم . ثم تابعت : كيف سنحل قضيتنا ؟

ـ قابلت كمالا من اجل ذلك ؛ ولكنه قال المشكلة والقضية عند أبي وأمي .. أنا لست متمسكا بك يا نادية وهذا قلته لك مرارا

قالت : اعرف والكل يعرف هل من حل غير الهجرة؟

ـ الهجرة حل ؛ لكنه ليس حلا نهائيا ؛ ربما تتعرضون للأذى فأبوك رأسه عنيد وشقيقه مات فلماذا يلتزم بتعهد مرفوض من أصحاب الشأن ؟ ولليوم صدقيني لم افهم سبب هذا الارتباط الإجباري لا احد يجيب

قالت :تزوج كما أخبرت كمالا بمللك من الانتظار

ـ أتزوج أخ أخ .. اغضب عمي وجدي وأمك وامي وإخوتي لا اقدر على غضبهم يا دكتورة

ـ هل من حل ؟

ـ سافرا مصر وتزوجا ، لا تحتاجان لولي ، ثم ارجعا بعد حين ، فهناك تجدين ما يسمى بالزواج العرفي بدون ولي وعرس

***

ظهر شاهد في المستشفى بعد أسبوع من الإجازة الطارئة فقالت له نادية بعتب بين : أسبوع لا تتصل بي ولا تتكلم معي كدت اجن يا رجل

ضحك وقال مبررا فعلته : سافرت فجأة ، وتركت الخبر عند حامد زميلنا لقد حضر أخي كريم وسافرنا غلاب

ـ تلفون يا فتى للمسكينة!

قال : لقد شغلنا بالحادث الحرج لابن أختي هناء حماد ، ولم يكن الظرف يسمح بالاتصال لا أنت زوجة ولا حتى مخطوبة .. أنت الآن مجرد صديقة في نظر الأهل .. لعل والدك غير رأيه

قالت بقسوة : أبي عسكري من الطراز الأثري .. لا يغير رأيه ..رأسه مثل الحجر .. قابلت امك أمي هل علمت بذلك ؟

تنهد بعمق وقال : نعم كلمتني بذلك وأنا هناك .. فأمي لا تريدني أن أهاجر من اجل الزواج فلما عرفت بالأمر صرخت أن الناس تهاجر لأمريكا للزواج من الأجنبيات أو المتجنسات والإقامة الدائمة ؛ ليس من اجل امرأة من هنا لتتزوجها هناك .. وأبوك علم بذلك ولم يحرك ساكنا ، وأعتقد انهم يكرهونني كره العمى فقد يدفعون مالا حتى لا أتزوجك .

قالت : قابلت شرفا فقال سافرا مصر وتزوجا عرفيا بدون أب ولا أم .. فالأمر سهل هناك ببعض المال يقوم المأذون المرخص بمائة عقد ..وقال أنا لا استطيع الحديث مع عمي وأقول يا عمي لا أريد نادية

ـ ألا يفكر بالزواج ؟

قالت بغضب : ولماذا يفكر ؟ وهو كل ليلة ينام مع زانية أو عشيقة

ـ يا الهي يمارس الزنا ويقبله أبوك لك !

قالت : من أيام الجامعة ونحن نسمع ولربما من أيام المدرسة الثانوية الخاصة ..ابن عمي نذل لا يفكر في عرض أو شرف ؛ لذلك أنا لا اهتم به حتى لو تزوج سيزوجني أبي له هكذا يقول اللعين ليتني أفهم لماذا كل الحب لابن أخيه ؟

قال بحيرة: لا ادري لماذا يزني الشباب ؟!

صرخت في وجهه : انحراف وانفلات وهمالة .. يذهبون لحانات البغاء والشراب يتصيدون بنات الليل والهوى والساقطات والماجنات ألا تراهن عندما تمر من أمام خمارة أو قرب ملهى ليلي ما رأيك بفكرة الملعون ؟

قال كأنه لم يسمع السؤال : ألا يخافون الأمراض الجنسية ؟

قالت بجنون : لا اعلم .. إنهم لا يفكرون بذلك .. المهم لهنّ المال .. أولاد عمي كلهم على هذه الشاكلة ، وكان شقيقي على شاكلتهم قبل أن يلتحق بالشرطة فقصصهم معروفة بالعائلة وكانت قصصهم من أيام عمي الوزير تزكم الأنوف والمناخير

ـ والبنات

ضحكت وقالت : لم اسمع عن بنتيّ عمي شيئا وهن اليوم أمهات ، أما أخي عمار فلم اسمع له قصصا مثل كمال ؛لأنه كبير جدا بالنسبة لي يكبرني بست سنوات ، وتزوج قبل الالتحاق بالجيش ، وهو متزوج بنت ضابط صديق لأبي ؛ ولكنه يشرب مثلنا ؛ لعلي أشبعت فضولك عن عائلة علاء الدين

تبسم مهدئا وقال : أنا اشرب في المناسبات والشهر مرة

قالت : وانا مثلك في سهرة أو حفلة ؛ لكننا نشرب ما قلت برحلة لمصر

بعد صمت قال : انسي مصر ..متى ستتزوج يا قمر مثل أهل البلد ؟مللت العزوبية

ضحكت وقالت : الآن

ـ الآن كيف ؟قالها بدهشة وفتح فم

قالت بحسم : إما أن نتزوج في مصر على طريقة شرف ونعيش في شقة سرية بعد رجوعنا أو نتزوج دون قبول أبي والولي وحتى أمي

قال بخوفه المعروف لها : وهل يتركوننا يا نادية ؟

قالت : ماذا سيفعلون بنا ؟ ماذا يريدون منا بعد الزواج أو حتى مني ؛ ربما بعد شيوع امر الهجرة سيضعفون ويغضون الطرف بل قالوا هاجري

ـ لا اصدق ! معقول يصمتون ألا يلفقوا لي تهمة خطف دكتورة بحجة الزواج .

قالت بغضب : خلاص نسافر مصر ونتزوج

ـ والعمل

ـ نتركه لحين أو يعطوننا إجازة طويلة شهرين أو ثلاث ؛ لعل الأحوال تتغير

قال مبينا : مصر بلد فقير .. فرص العمل ليست سهلة .. نصف شعبها في الخارج .. سأحاول عرض الأمر على أمي بذلك الاختيار

ـ افعل شاور أمنا الدكتورة غدير .. تتعامل معك كأنك طفل

الفصل السادس

كان العسكري الضابط في الجيش كوالده المتقاعد عمار وكمال الضابط الشرطي في زيارة بيت الوالد فنزلت نادية لتسلم عليهما وترحب بهما وتشرب الشاي معهم كالعادة وصافحتهم ورحبوا ببعضهم وجلست وأخرجت سيجارة كالعادة أيضا فقدم لها عمار الشعلة فولعتها وتمتمت بالشكر ، وقدمت الخادمة الشاي وغادرت للمطبخ تنظر خدمة أخرى .فقال عمار :

أبي يحدث انك تفكرين بالهجرة مع ذاك الرجل أو تهديدين بأن تهجرين بيت العائلة

نظرت لأبيها وقال مجيبة : نتزوج عندهم بدون ولي امر .. هناك لا يهمهم ولي الأمر ولا ينتظرون قبوله .. ملّ شاهد الانتظار ؛ بل اقترح علينا السفر لمصر والحياة فيها .. فمصر بلد مثل أوروبا يقال

ضحك علي من السفر للعيش في مصر وقال : مصر .. ماذا ستعملون في مصر ؟ فربع سكان مصر مهاجر للعمل في دول النفط وأوروبا .. فأهل مصر يهاجرون منذ عهد السادات لما سمح لهم بالانطلاق لدول العالم والاقتصاد المتقدم ..كفاءات لا مكان لها في موطنها

صرخت دون اعتبار لاحد : لن أتزوج ابن أخيك ، ولو ظللت بدون زواج مثل الراهبات في الكنائس

فقال كمال : هدي نفسك يا دكتورة ..نحن مللنا مثلك من الموضوع والحديث عنه .. هذا صاحبك الدكتور احمق

صرخت فيه : احمق ! ولماذا احمق يا حضرة الضابط ؟ نحن نحب بعضنا مثل كل بنات الناس وهو محترم

رد عليها ببعض الحدة : لو مات ستبقين أرملة ، ولو مت سيتزوج ثاني يوم

قالت بحدة : لما يموت احدنا فليتزوج من يشاء .. سنة الحياة .. أما أن اجبر عليه فهذا ليس من سنة الحياة .. فهذا إكراه

قال عمار متدخلا أو مظهرا وجهة نظره : الهجرة ليست غنيمة .. شرف عامل خاطر كبير لعمه

وأنت لا حس عندك وتقدير لأبيك

قالت : اسمعا أنتما لا دخل لكما في حياتي وزواجي .. وبوجودكم قررت ترك الفيلا لكم .. أنا سأسكن وحدي ، لا احد له امر عليّ .

قال علي غاضبا: أنا حذرتك من قبل ولو عشت وحدك لن اسمح لك بالزواج منه ..وأنت في هذا البلد .. وانا حذرته ونصحته قديما وطلبت منه أن يبتعد عنك

قالت بصوت مرتفع وبتحد : حسنا ! أنا سأبتعد عنه وأعيش عانسا

قال : عيشي كيف تشائين؟

قالت ساخرة : سأتزوج عتالا في يوم من الأيام من عتالي سوق البرود

قال كمال مقترحا حلا : يا أختي تزوجي من شرف لحين وطلقيه

قال علي غاضبا منه : ما هذا الاقتراح يا كمال ؟

فأجاب أباه : المهم أنك وفيت بالعهد والوعد ؛ لعلها بعد زواجها منه يتزوج المدعو شاهد ونخلص من سيرته وغرامه .. ليتني عرفت مثل هذا الغرام قبل زواجي !

صاحت بحزم : حتى لو تزوج شاهد لن أتزوج شرفا ..وانا وجدت شقة وسأستقر فيها خلال أيام .. أعجبكم هذا أم لم يعجبكم

فقال علي : يا لك من عاقة !

قالت : عاقة عاقة .. انتم أجبرتموني على فعل ذلك .. فالعيش بينكم يقصف العمر

فقالت ريناد الصامتة مثل التمثال تدخن وتشرب الشاي : عليك اللعنة ليته ينقصف حقا

قالت: ليتك ظللت صامتة يا أم عمار ! عليّ كل اللعنات.. وعليّ كل الشيطان .. الحياة معكم صارت مثل الجحيم

قالت الأم : أنت الجحيم

صعدت إلى غرفتها فقال عمار : هل هذا حل أن تعيش وحدها ؟ .. فالأمر مظلم ومرعب

قال كمال : بنت تقترب من الثلاثين سنة ماذا نفعل لها ؟ وهي دكتورة تعتبر نفسها افهم منا لأننا

عساكر ولم ندرس في الجامعات مثلها

قال علي : وانا لن ارضخ لرأيها فلتفعل ما تشاء

قال كمال : شرف منصور يرى الزواج منها سيفشل بأسرع مما يتوقع ؛ بل يخشى على حياته منه وقال لي زهقت من الانتظار وأمه مثله فقلت له اصبر ليس أمامنا إلا ذلك وأبي لن يغير رأيه

قال علي متوعدا : اذا رحلت هذه البنت من البيت فقل له تزوج نعم فليتزوج ولتزوجه بلوحة ونادية لن تتزوج غيره واخبره أنها اذا وافقت على الزواج في يوم من الأيام ستكون ضرة ولن تتزوج غيره وانا حي ..فليشترط ذلك على من يريد الزواج منها من عشيقاته

***

رحلت نادية لشقتها المستأجرة والمفروشة دون اعتبار لأي اعتراض ، ولما سكنت فيها اشتركت في شركة الهاتف ، وكان شاهد يعلم بهذه الخطوة الخطيرة وقد نصحها بألا تفعل لأنها ستزيد الأمر سوءا بينها وبين عائلتها ، ولم تهتم لاعتراضه ونصحه فقالت له : أبي ما زال يظن انه قائد معسكر ولكن للآسف لا يوجد فيه إلا عسكري واحد وهو أنا .

وخلال الأسبوع الأول كانت تعاقدت مع خادمة آسيوية عن طريق شركة الخادمات والشغالات الفليبينية واسمها مونا من احدى ضواحي مانيلا عاصمة الفلبين .

فكان شاهد يقول لها وهما في عيادة المستشفى : هل يغطي دخلك نفقات الشقة والخادمة ونفقات البيت ؟

ابتسمت وقالت : سأستلف منك عند أي نقص ألست زوج المستقبل ؟ لو طاوعتني ورحلنا عن هذه البلاد لكان خيرا لنا

قال مهموما : لا استطيع البعد عن الأهل ، لقد قدموا لي الكثير يا نادية! وحتى لو تزوجنا لما تخرجت كانوا هم من سيتحمل نفقات الزواج .. المشكلة يا عزيزتي أن اهلك يعتبرون من علية رجال البلد ؛ فإن لم نتزوج بقبولهم سنتغلب كل حياتنا .. فعمك منصور كان وزيرا في حكومة أبو الشوارب حمصي

همست : اسمع أقول بصراحة لا تزعل أنت جبان !

حملق فيها وقال بانكسار : أنا جبان سامحك الله! .. لو لفق لي أبوك تهمة أو كيس مخدرات ماذا ستفعلين لي ؟ حتى لو برئت ستظل سمعتي قد شوهت .. طبيب يتاجر بالمخدرات

قالت بصوت منخفض : شاهد تزوج كما تريد امك .. سأنسى الحب وكلمات الغرام ورسائل الهوى وأشعار الهوى وأحلام الجامعة وكيف سنربي الأطفال ؟

تنهد بعمق وترقرقت الدموع في آماقيه : نعم ، هذا هو الحل الصحيح أن نبتعد عن بعض بالحسنى .. فأنا عاجز عن مقارعة اهلك وتهديداتهم بالبعد عنك

ـ هم يهددونك

قال بضعف وعجز : اجل كل من كلمني ينصحني بالبعد عنك .. هم عاجزون عن قتالك فيقاتلونني أنا

ـ حديث هذه التهديد

قال بحزن : حديث وقديم .. منذ تخرجت وأنا تصلني رسائل شفوية طبعا من طرفهم ومن طرف أسرة عمك ما عدا شرف .. البنات والشاب الأكبر نسيت اسمه

قالت بحيرة وشك : لم تخبرني

قال : لم اكن ألقي لها بالا .. والهجرة لا تحل المشكلة .. فانا أعيش ضمن عائلة

قالت بحسم : حسنا يا دكتور ! تزوج .. فالدكتورة ليلى تنظرك أليست عرضت نفسها عليك

قال لنفي الاتهام :   لن أتزوج طبيبة واذا تزوجت سأتزوج من خارج الأسرة الطبية ؛ فليس بيني وبين ليلى يسون سوى العمل يا نادية

ضحكت قهرا وقالت : هي من تقول أن لك فيها هوى

قال : هوى .. هي تزعم ذلك شفقة وإغاظة لك . . سأبحث عن مستشفى آخر

ـ لا تهرب ، أنا التي ستترك هذا المستشفى .. لديّ عرض من الرياض وآخر من الكويت ؛ لكنها بلاد رطبة وصحراوية .. انطلق يا شاهد اذا لنا نصيب سيجمعنا القدر من جديد .. أنا لي

ابن عمة عالم دين دكتور شريعة الدكتور هشام ياسين .. هشام منذر ياسين لعلك سمعت به

ـ كأني سمعت به فهو يظهر على التلفزيون والإذاعة .. ماذا تحدثت معه ؟

قالت مبينة سبب ذكره : سعيت أن يتدخل مع أبي من أجلنا .. فأبي يخاف ويرتبك من الشيوخ والعلماء لا اعلم لماذا ؟ فقال سمعت بقصتك من أمي وهي أخت أبي ونصحني أبي وعمتك ألا أتدخل

ـ لماذا ؟

ـ الغريب انه يعرف لماذا يصر أبي على زواجي من ابن أخيه شرف ؟ يبدو أن هناك قصة قديمة في العائلة لا يحبون كشفها للعلن

قال بدهشة : قصة قديمة .. والله فعلا عجيب إصرار والدك !

قالت : وقال لن اطلب منك الزواج من ابن خالي منصور فهو شاب فاسد ومعروف داخل الأسرة والأفضل ألا تتزوجيه اذا استطعت المقاومة ، ولما سألته عن وضعك فقال أيضا الأفضل أن تبتعدي عنه فلن يسلم من شرهم فهذا سبب حديثي عنه لك

قال : هذا ابن عمتك حكيم وقال لك ذلك

قالت : وقال لا يمكن أن يقدمه أبوك على ابن أخيه

قال : هناك حكاية كبيرة يبدو بين أبيك وعمك

قالت بضيق : هذا ما فهمته حتى من أمي تقف معه بقوة مع أنها لا تطيق امرأة عمي ولا تمت لعمي بصلة قرابة ليهمها زواجي من شرف

الفصل السابع

قدم شاهد بعد أيام من هذا اللقاء الساخن والحاسم استقالته من مستشفى روح الحياة وذلك في مطلع تموز ، وانتقل إلى مدينة غلاب واستأجر له زوج أخته لؤي مجاهد شقة في تلك المدينة وتعاقد للعمل في مستشفى بلسم الأهلي قسم الباطني ، ولم يمض على فراقه مستشفى روح الحياة أسابيع حتى انتشر خبر زواجه في صحف ومجلات البلاد وصفحات الاجتماعيات التي

تهتم بنشر هذه الأخبار مقابل المال الذي يدفع لها ، وعادة أثرياء المدينة يحبون نشر صورا من حفلة الزواج أو الخطبة وقد تزوج أخت زوج أخته لمياء مجاهد الموظفة في مستشفى بلسم في قسم الإدارة المالية من سنوات قليلة ، وقد كانت لمياء مجاهد مخطوبة لقريب لها وانفصلا قبل يوم الزفاف فقبلها الدكتور ، وتلقى الدكتور تهنئة من صديقته نادية وزملاء المستشفى وكان الدكتور وليد زميل الجامعة وزوجته سلوى قد شاركا في الحفل وهمسا : لقد فعلت الصواب فلماذا يهاجر الفرد وهو غير محتاج لذلك ؟ وعسى أن تستريح نادية وتجد من يقترن بها مثلك ، فقد قلت لي إنها تركت منزل والديها زعلا منهما .

قال شاهد : نعم لم تطيق العيش معهم ، وسمحت لي بالتحرر والانعتاق

قال وليد : نعم ما فعلت .. فالحياة مع أسرتها ستكون صعبة على طبيب مثلك هادئ ووديع ولا يحب النزاع والمشاكل فسوف يعكرون حياتك الزوجية

تحسر قائلا : نعم أنا لما أحببتها كما تذكر لم اكن اعلم بتخلف أبيها وعمها وعقدته لهذا الحد حتى أنه سمح لها بالعيش وحدها ولا يرخص لها بالزواج مني ؛ لكن كما قالت لي يبدو أن هناك قصة غامضة بينه وبين شقيقه الوزير وكانت ضحيتها الدكتورة ولا احد يتكلم عنها

قالت سلوى : يسر الله دربك أنت صديق طيب وصبور .. وكان الله في عونها وكنا أهم أصدقائها .. لقد رأيتها منذ أسابيع وذكرت لي انك ستتزوج فهي عرفت ربما من زملاء روح الحياة

قال وليد : وكيف علمت بقصة القصة الغامضة ؟

روى لهما حوارها مع ابن عمتها الدكتور هشام ياسين فقالت سلوى : هو قريب لها ! أليس هو دكتور الشريعة المعروف في الندوات والتلفاز

ـ نعم هو ابن عمتها سعت عنده ليتدخل في امرنا فهمس لها بما قلت لكم وشجعها عن الابتعاد عني وقد فعلت وأتمنى لها كل توفيق وسعادة

ولما انتهى حفل الزواج غادر وليد وسلوى غلاب للمدينة الكبيرة

سافر شاهد وزوجه لقضاء شهر العسل في ربوع مصر ، وكانت زوجته لمياء تعرف قصة حبه لنادية من شقيقها وشقيقة شاهد الدكتورة هناء وبعد الإجازة عاد للعمل في مستشفى بلسم وهو يزعم انه سعيد بزواجه وانه يسعى لنسيان حياته مع زميلة الجامعة

***

التقى شرف ذات صباح بنادية عند المسبح وبعد التحية والسباحة انتقلا لمطعم النادي يتناولان الإفطار الخفيف ويشربان القهوة فقالت : أين ظلك ؟

ضحك وقال : ليس لديّ ملاحظات اليوم ، وسأسافر إلى ألمانيا بضعة أيام .. سمعت ؛ بل قرأت أن صاحبك تزوج هرب منك أخيرا

ـ لم يهرب .. تركته يتزوج ، فهو مثلك ملّ العزوبية .. فأهلي يهددونه

قال " يهددونه ! معقول

ـ هذا ما صرح به بعد يأس.. وأنت تعلم أنني تركت فيلا علي من شهور

قال : سمعت من أمي ومن كمال شقيقك .. بعدك ترفضين الزواج من العبد الغلبان

ضحكت وقالت : آخر واحد افكر بالزواج منه يا عبد يا غلبان

قال باسما : احسن ..نحن لا نصلح لبعضا صدقي ذلك يا دكتورة

ـ تحدثت من فترة مع ابن عمتنا الدكتور هشام

قال معجبا : دكتور الجامعة !والله هذا الولد عقل كبير .. التقيت به عدة مرات ولكنه شيخ .. ولماذا تحدثت معه ؟!

ـ رغبت أن يتحدث مع أبي في موضوعنا ؛ ولكنه اعتذر للقرابة ، وأمه رفضت أن يتدخل في قضيتنا كما فهمت منه ؛ وكأنه يعلم سبب قصة عناد أبي فأشار أن هناك قصة غامضة سببت هذا الوعد

ـ سمعت هذا من أم جاد (يقصد امه ديمة) ؛ ولكنها لم تفصح بالتفاصيل صدقي ذلك

ـ وهو مثلك سمع ولم يفصح أو لا يعرف التفاصيل ؛ لأن عناد أبي عجيب.. سمح لي بالعيش

وحدي ، ولا يسمح لي بالزواج من الدكتور

قال : معك حق موقف غريب منه ومن أمك

ـ أمي يا شرف تبع مثل الأرنب مع علي أبي .. ألا تريد الزواج ؟

قال مادحا :رغم نفورك مني كزوج .. فالكلام معك ممتع .. إنني اليوم أعيش في ورطة حقيقية لا تسمح لي التفكير في الزواج ؛ وربما تسمعي بها في يوم من الأيام

ضحكت وقالت : لعلي سمعت بها يا شرف

ـ معقول ! ممن سمعت ؟

قالت : أصارحك ممن أوقعتك فيها

ـ غالية

ـ اجل

ـ الملعونة ولماذا فعلت ؟

ضحكت وطلبت كوبا من الشاي وطلب مثلها فقالت : للضغط على شخصك ..كشفت الأمر خشيت أن أتزوجك بعد زواج صاحبي شاهد .. فهي كأنها تريد الزواج منك درا للفضيحة أو لترغمك على زواجها بعد أن عاشرتها مئات المرات

قال بسخط كأنها معهم : حمقاء ! وألف حمقاء ! أنا فهمت حيلتها وخبثها ..وامرتها أن تقعد في بيت أهلها حتى نجد حلا لمشكلتنا.. خشيت أن تدخل المكتب ببطن منفوخة ولم يسمع زملاؤها في الشركة بزواجها ..وعينت موظفة غيرها أو نقلت واحدة غيرها من مكاتب الشركة

الفصل الثامن

رجع شرف قبل الذهاب للمكتب للشقة كما يفعل غالب الأيام ، فوجد عشيقته غالية في انتظاره فكأنه تفاجأ وصاح فيها : لماذا أنت هنا ؟

خلعت ملابسها الخارجية وظلت بملابسها الداخلية وقالت : اشتقت لك ألم تشتاق لي ؟ لنا أسبوع بعيدين عن بعض

صرخ غضبا : عودي والبسي ما خلعتيه لا وقت للعبث اقترب وقت الدوام .. المعاشرة في الليل سأستحم واذهب للشركة

اقتربت لتقبله وتحتضنه فصدها بجحرة قاسية وقال : ماذا فكرت بحملك ؟

توقفت عن متابعة العناق : أهلي يصرون على زواجنا ولو بالسر دون علم عمك

ـ والحمل سيكشف السر .. ويعلم الجميع انك حملت بدون زواج ..وابنك غير شرعي كيف سيتقبلونه خاصة أمي ؟

ـ الزواج سيغطي على ذلك

ـ لماذا سمحت لنفسك بالحمل يا غبية ؟!

أخذت بارتداء الملابس وقالت : لا يجب أن ابقى مجرد عاهرة .. أنا بنت محترمة .. وأهلي غاضبون من تصرفي وعلاقتي بك وعلينا تصحيح الوضع

ـ البسي ثيابك لا رغبة لي بالجنس علينا أن نتخلص من الجنين قبل فعل الزواج السري لا تقبل الأسرة ابنا غير شرعي .. هذا عار إلى يوم الدين لنا ولابنك .. بعد الإجهاض سنتزوج كما ترغبين ..هذا الضغط الحقير لا اقبله

تابعت لبس ثيابها قطعة قطعة وقالت : متى أعود للمكتب ؟

رد متهكما : لما ننته من هذا الذي تحامقت من أجله

أنهت اللبس وجلست على مقعد تدخن وقالت : لا يمكن أن ابقى عشيقة يا شرف .. أنا لا اعمل في بيت دعارة .. أنت من أول مرة سلمتك نفسي ادعيت انك لما تخلص من موضوع نادية ستفكر بي كزوجة .. وتخلصت نادية من شاهد وخفت أن تتزوجها وان ابقى بنت ملاهي بسببك

ـ سنتزوج يا ملعونة ؛ ولكن ليس بهذه الحيلة الرخيصة استعدي للسفر إلى المانيا وبعد العودة سنتزوج سرا عن أهلي .. لا أنكر جمالك وتأثيره الخارق عليّ

قالت : حذار أن تخدعني.. سأطاوعك بإسقاط الحمل

قهقهة وقال : ماذا ستفعلين بي ؟

ـ سأفضحك إن لم أقتلك

ـ لا يخيفني تهديدك .. أنت تعلمين انك لست أول فتاة في حياتي الماجنة .. علاقتي بالنساء ليست سرا يا غالية وأنت تعرفين ذلك وتعلمين انك لست المرأة الوحيدة في حياتي وحتى في الوقت الحالي .. ولا انكر جمالك وفتنتك منذ قدمت للعمل في الشركة .. ولم اجد منك صدا فبربع إشارة كنت تأتين إلى هنا ..وصدقت انك ستكونين زوجتي

قهقهت وردت : نعم صدقت.. ومن اجل ذلك سلمت جسدي لحضرة المدير .. ولنا اكثر من سنة نعيش كزوجين

ـ سنة أوه ! وأنت عشيقة لي.. وعندما أتزوج منك لا يعني هذا أن ابتعد عن النساء

قالت : لن أغار

قال متشككا : الشاب الذي لمحته معك على باب الشقة هنا ألم تعودي ترينه ؟

ـ لا ، هو صديق أخي صدف أن التقينا على باب الشقة

قال : لم اصدق أنها صدفة لست مغفلا .. سعيت للقاء به من وراءك فقال انه كان صديقك قبل العمل معنا

ضحكت سخرية : وهل صدقته ؟

ـ ولماذا لا اصدقه ؟!

قالت : لا تخلو الحياة من أصدقاء عرفتهم قبلك يا شرف لكن ما في بطني منك

ـ لا يهمني ما في بطنك مني أو من غيري سنذهب بمهمة عمل مدير وسكرتيرته إلى المانيا وهناك سنتدبر امر ما في بطنك

ـ سنتزوج يا حبيبي بعد الرجوع ولو سرا

ـ حسن وستعشين بالشقة هذه لحين حتى اشتري لك شقة خاصة واكتبها باسمك وستمكثين فيها وبدون عمل حتى يموت والد نادية ونشهر زواجنا للعائلة

ـ قبلت وراتبي

قال : سأصرف عليك دون وظيفة حتى لا يشم أحد امر زواجي .. نحن في العائلة نتزوج من بنات العائلة أو بنات الأسر الثرية

***

رتب شرف أمر رحلة سفره لبرلين الشرقية لمدة عشرة أيام ، فهو له علاقات مالية مع أوروبا الشرقية والغربية من شراء آلات صناعية لشركات محلية ، وسافرت معه سكرتيرته غالية التي زعم للموظفين أنها قد وقعت في المرض وشفيت منه ، وتمت عملية الإجهاض في عيادة تابعة للحزب الشيوعي الألماني ، واحتاجت للبقاء مدة اكثر من المتوقع واضطرا لإتمام الأسبوعين في برلين الشيوعية ، ولما عادت أنهى شرف عملها بالشركة ؛ لأنها كانت مازالت تعاني من الإجهاض رغم أن الإجهاض هناك قانوني ومسموح به للفتيات لأن الإباحية الجنسية مباحة ولا تجريم للزنا .

وذات اتصال بينهما قالت : الطبيب الذي بعثتني إليه يقول إنني تعافيت من آثار النزيف والعملية متى سنعقد الكتاب ؟

قال بعد صمت للحظات : الحمد لله على السلامة .. قريبا يا غالية ولن أقربك جسديا حتى نتزوج ..اخبري امك بهجة بذلك وطمئنيها .. فعلينا لزوم الصمت بضعة أسابيع حتى لا يتسرب شيء لعمي علي أو حتى إخوتي ..فكلهم يعتقد أنني ذهبت لترتيب صفقة ماكنات .

ـ ماذا افعل في البيت ؟

ـ اذهبي للشقة ولكن لم يعد لك مجال للنوم فيها ليلا

قالت : ارسل لي ألف دولار

ـ لماذا ؟

قالت : أمي تريد مالا ؟ هناك بعض المناسبات لي شهرين بدون راتب

فكر قليلا وقال : سأدبر الأمر .. يبدو أنني سأدفع بك للعمل عند أصدقاء الشركة الف دولار

كل شهر أو شهرين مبلغ كبير .. هو أمك أو شقيقك لا يعملان

ـ العمل احسن يا شرف .. القعود سيتعبني مع أمي واخي والجلوس في شقتك سيسبب لي الملل والضجر .. سهل لي عملا .. وأمي عملت في مصنع مدة عشر سنوات وفصلت ..وعاصم البيك يعمل نائما.. كان يعيش قديما على جيب أمي والأيام هذه على راتبي

ـ سأفعل .

الفصل التاسع

في منتصف آذار ١٩٧٨ كانت نادية في غرفة العمل عندما قالت لها موظفة : تلفون يا دكتورة اعتذرت من زميلها الأخصائي خالد وذهبت ترد على التلفون فسمعت شخصا يعرف نفسه انه من طرف ابن عمتها هشام منذر وأن اسمه لبيب احمد فرحبت به وقال : أنا على باب المستشفى

ـ أهلا بالمهندس لبيب أحمد .. هشام ياسين أرسلك لي بعد قليل سأكون عند البوابة

عادت للعيادة وقالت للأخصائي والكادر معها : سأصل باب المستشفى ربع ساعة

قال زميلها : هل من أمر ؟

ـ لا ، كنت بحاجة لشيء من ابن عمتي وهو ينتظرني يا دكتور خالد على مدخل المستشفى لن أتأخر لم احب أن يدخل إلى هنا

ـ حسن هذا خذي راحتك

خلعت ثوب العمل وقالت للموظفة المساعدة : دقائق يا سامية

قالت : خذ راحتك

غادرت غرفة المعاينة والاستقبال للمرضى ونزلت للطابق الأرضي ومشت لبوابة المشفى ولما رآها الشاب لبيب تقدم منها وسلم بالإشارة وقال بعد الترحيب : طلب مني الصديق هشام اللقاء بك فأحببت المرور عليك أثناء العمل واللقاء وجها لوجه لنحدد مكان اللقاء المناسب

ـ أهلا سيد لبيب أنت صديق الدكتور هشام منذر ابن عمتي

ـ نعم أنا المهندس لبيب وأعمل في الجامعة التي يُدرس فيها الدكتور واعرفه من أيام الكلية

ـ أين تحب أن نلتقي ؟

ـ ممكن في بيت الدكتور

ضحكت وقالت : أنت أكيد تعلم أن الدكتور ابن عمتي ؛ لكن علاقتنا الاجتماعية مختلفة ولا اذكر اني دخلت بيته ، فهو كما يقال رجل دين شيخ ونحن لا ادري ما يسموننا الشيوخ

ضحك لبيب وقال : متحررون كما يقال أو متغربون

قالت : ممكن نلتقي في نادي في مطعم في مقهى .. ما يناسبك

ـ من ناحية الممكن أي مطعم ؟

ـ مطعم شجرة البرتقال قرب المتحف

ـ جيد متى ؟

ـ الليلة الساعة العاشرة ليلا

***

اتصلت نادية بهشام منذر بعد مجالستها للمهندس لبيب وتفاهما حول الزواج والحياة الزوجية وقالت : قابلت صاحبك المهندس لبيب احمد وارغب باللقاء بك

ـ اتصل بي بعد اللقاء فورا ، فهو صديق كلية وعمل .. هو من حيث المبدأ يرغب بك زوجة يا بنت خالي على امل أن تتغيري فهو متدين كما اتفقنا وارمل ؛ كما أخبرتك ماتت زوجته من عهد قريب وهو ربما اكبر منك بسنتين أو ثلاث كما ذكرت ، وبما أنك ترغبين بالتدين كما قلت رأيته مناسبا .. ما قلت من حيث المبدأ ؟

ـ رأيته مناسبا كما قلت متى أراك ؟

قال : وقتما تشائين نحن أهل ..عادة أكون في البيت بشكل دائم مع المساء الساعة الثامنة جيد

ـ اعطني عنوان السكن

ـ آ .. نفس شارع الوالد بيت عمتك فاطمة عرفة .. عمارة عمي محمد ياسين ..عمارة من ثلاثة طوابق فأنا متزوج ابنته الكبرى يا دكتورة هي أيضا دكتورة شريعة الدكتورة رجاء محمد أنا في

الطابق الثالث ويشرفني اللقاء بك وخدمتك

قالت مذكرة : على أن لا يعرف الوالد وحتى امك قبل أن يصبح مشروعنا حقيقيا .. فأنت تعلم قصة شرف ابن خالك

ـ معروفة وأهلا وسهلا اليوم

ـ أراك اليوم يا دكتور وأشكرك على تعبك معي

***

جلست نادية في صالون أو غرفة المعيشة في بيت هشام في عمارة محمد ياسين ورحبت بها زوجته ترحيبا حارا ، وسلم عليها وصافحها أطفالهما الثلاثة ورجعا لغرفهم وبعد شرب الشاي قال : أهلا بابنة خالي

فردت بوجه باسم : أهلا بالدكاترة .. رغم أننا أقارب يا رجاء لكننا بعيدون عن بعض ما السبب في نظرك

ضحك هشام وابتسم لزوجته رجاء وقال مبينا العلة : السبب نحن من عائلة اسمها ياسين وأنتم من عائلة علاء الدين وثانيا وربما هو الأهم طبيعة عائلتنا الاجتماعية تختلف عن طبيعة عائلة خالي منصور وخالي علي وثالثا عمتك فاطمة لم تعجبها حياة أسرتيكما المتغربة والليبرالية والمحاكية جدا للأجانب في الأكل والشرب واللباس ووالدي متدين منذ نعومة طفولته غير متأثر بالغزو الثقافي والفكري ، وتقبلت عمتك هذه الحياة وعاشتها .. وعمك منصور بعيد كل البعد عن حياة الدين ووالدك المحترم نحوه .. وأيضا طبيعة عمل والدك في المعسكرات والدورات فلم يكن لديه وقت للحياة الاجتماعية مع العائلات الأخرى ، ويرى كل من يتقرب منه يريد شفاعة لشيء سواء في التجنيد لأولاده أو غيره .. وخالي منصور كذلك يتهرب من مساعدة الأقارب في حل مشاكلهم ومشاجرتهم

ـ يا الله! هذا أنت تعرف أبي وعمي اكثر مني

ضحك لتعليقها فقال : الحياة تجارب يا دكتورة وسؤال وجواب ولماذا .. ومع الوقت تتراكم

خبرات ..وقصة شرف وخالي معروفة لعمتك أم هشام

قالت ببطء : شرف ورطان كما قال لي فأنا أحيانا أراه في المسبح قبل أن اهجره من زمن يسير

تبسم وأكد : ابن خالي طول عمره ورطان في علاقاته مع النسوان والسبب يا ابنة خالي والده ارخى له العنان ، وكان يرقع وراءه ويطبب على ظهره بحكم قربه من السلطة والحكومة ما آخر ورطاته هذه الأيام ؟

ضحكت ونظرت لرجاء وقالت : لا ادري هل يحق الكلام ؟!

قالت رجاء ردا لنظرتها إليها : اذا سر فلا داعي

فكرت ثوان وقالت : هو لم يقل انه سر وإلا ما حدثني به .. سأقول ورط نفسه مع السكرتيرة الخاصة بمكتبه وحملت منه لتضغط عليه ليتزوجها كما فهمت منه ؛ ثم سافر بها المانيا وعملت إجهاض ومنذ عادا وهو وإياها في مشاكل تريد أن يتزوجها رغم انفه كما وعدها قبل عملية الإجهاض

قالت رجاء : أهلك يعلمون

ـ الرائحة فاحت فأهلها يهددونه إن لم يتزوجها فسيتعرض للأذى

قال : نعم عليه أن يتحمل جريرة جريمته .. اشربي الشاي

ـ أتسمحون لي بالدخان ؟

ـ هناك الشرفة دخني براحتك .. أليس من العجب أن الدكتورة تدخن؟ وأنتم تنصحون البشر بترك الدخان .. وستأتيك القهوة .. بس اعلمي أن لبيبا لا يدخن

ـ اذا تزوجنا وتفاهمنا ستتغير أشياء كثيرة في منهاج حياتي .. أنت صديق وقريب غالي يا هشام لكن كيف سيتم عقدنا بدون ولي ؟

ـ سهل الأمر .. سنرفع دعوة عضل وتنقل الولاية للقاضي في المحكمة .. خاصة انك تجاوزت سن الزواج الرسمي .. وفتاة دكتورة راشدة فلك الحق أن تتزوجي اذا رفض الولي .. فيبلغ الوالد بزواجك عن طريق القاضي فإما أن يقبل ويوقع عند القاضي أو يستغنى عن توقيعه

وأضاف : وقد تحدث ونافش الفقهاء وعلماء الشريعة هذه المسألة التي تسمى قضية العضل وهو امتناع الولي من تزويج ابنته أو أخته أو من له عليها ولاية شرعية وكان بينهم اختلاف فيمن تنتقل إليه الولاية ، فعند فقهاء المذاهب الحنفية والشافعية ، والمالكية أن الولاية تنتقل إلى السلطان ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له) ؛ ولأن الولي قد امتنع ظلما من حقٍّ توجب عليه فيقوم السلطان مقامه لإزالة الظلم كما لو كان عليه دين وامتنع عن قضائه فالشرع يجيز للسلطان أو من ينوب عنه كالقاضي الشرعي أن يزوج المرأة بكفء .. فالأمر غير معقد والإسلام ؛ ليس كما يذاع ضد المرأة مما تدندنون حوله اقصد جمعيات النساء التابعة للأمم المتحدة ..

ضحكت الطبيبة وقالت : نحن جهلة يا دكتورة رجاء بديننا .. لذلك لما اسمع هذا الكلام أصاب بدهشة .. أشكركم على التوضيح .. يعني زواجي بدون موافقة أبي شرعي وحلال .

الفصل العاشر

أسرة علي قبلت رحيل نادية على مضض ويأس وغصة، ووجدت الأسرة ارتياحا إلى حد ما لما أسكنت معها خادمة ؛ فكأنهم اعتبروها عينا لهم على الشقة وتصرفاتها ، وكانت أمها تتردد على البيت يوما بعد يوم مساء ؛ خشية أن تتحول الشقة مرتعا للعشاق والسمر ، وسعت ريناد لإقناعها بالعودة لبيت الأسرة وأن تحتفظ بدخلها بدلا أن تنفقه على الشقة والخادمة ، وتصر الشابة على الرفض ، ولما شاع خبر شرف وإجهاض السكرتيرة قالت لأمها : ها هو وقع في شر أعماله وتضغط عليه للتتزوجه علنا .. ماذا يقول زوجك ؟

قالت بضيق : لم يقل شيء .. فقط قال هذا ليس بجديد ففي حياة أبيه وقع بمثل هذه الورطة قبل الجامعة وخلال الجامعة

رسمت ضحكة مقتضبة وقال : ويريد زوجك أن أتزوجه .

تظاهرت بعدم معرفة سبب إصرار زوجها زواجهما فقالت : لا اعرف سبب إصرار أبيك عليه .. أنا الذي فهمته أن عمك لما أنهيت الثانوية اتفق مع أبيك على زواجكما لما تتخرجي وظننا أن

علاقتك بشاهد ستنتهي بالتخرج ..فهو كان يسبقك بثلاث سنوات .

قالت بعد تردد : سأتزوج قريبا

بحلقت في ابنتها وقالت كالمصدومة : تتزوجين من ؟

ـ لا تنزعجي .. لما يحدث الاتفاق ستعرفون .

قالت الدكتورة ريناد : وقبول أبيك !

أطفأت السيجارة : وقد أفارق الدخان كما هجرت الشراب .. لا يهم رأي زوجك .. سأتزوج عن طريق القاضي مباشرة

قالت باستغراب أو جهل : وهل يصح ذلك زواج بدون أب ؟!

ـ يصح كما علمت

قالت : أنا لا افهم في الدين .. ماذا يعمل الرجل ؟وهل يريدك أن تركي السجائر والشراب ؟

قالت : تقريبا وهو مهندس ارمل

صاحت : هذا ختيار.. شابة تتزوج عجوز

ضحكت نادية : ليس بعجوز .. اكبر مني بثلاث سنوات من جيل شاهد .. ماتت زوجته ويبحث عن زوجة كسائر الخلق .

عادت تقول : ورأي أبيك

ـ لا يهمني .. فشرف سوف يجبر على الزواج من سكرتيرته غالية ؛ كما قالت هي نفسها لأنها لم تقبل بالإجهاض إلا بذلك الوعد

قالت مستسلمة : أنت دكتورة وكبيرة لا حكم لنا عليك سأنصرف سيزورني الليلة صديق قديم صديق محاضر أيام الجامعة قبل تقاعدي من سنوات يسيرة

غادرت شقة ابنتها للفيلا وهي تفكر بقصة زواج ابنتها من الأرمل المهندس ، ولم يكن زوجها علي في البيت هي خرجت لزيارة نادية وهو ذهب لزيارة نادي الجيش الخاص بالعسكريين المتقاعدين ، وفي التاسعة ليلا كانت تستقبل صديق الجامعة الدكتور حمامي ناصر ، ولما رجع

علي من ناديه ولقائه ببعض الزملاء المتقاعدين مثله ، ورأى ضيف ريناد غضب وقال بحدة في وجه ريناد والضيف : ماذا يفعل هذا الرجل في بيتنا يا ريناد ؟

حدقت في عينيه وقالت بنبرة متضايقة : هذا زميلي في كادر الكلية يا علي قبل التقاعد احب شرب الشاي معي وسماع أخباري بعد التقاعد

فصرخ فيهما : أليس هذا من قضيت ليلة في شقته وعلى فراش غرفة نومه ؟وأنت في حالة سكر عالية .. وذهبت أبحث عنك في النادي فقيل لي خرجت سكرانة برفقة الدكتور حمامي

ـ كنت سكرانة جدا يا علي ليلتها فدعاني ؛ لأنني عجزت عن قيادة السيارة

صرخ بجنون : اشتقت للخيانة .. أنت طالق يا ريناد اخرجي من بيتي

صاحت : أنت فقدت عقلك

قال حمامي وهو يرتجف رعبا : شكرا على الضيافة اسمحي لي بالمغادرة

سبه علي وشتمه بكل ألفاظ القذف، وذاك لا يزيد إلا على قول سامحك الله حتى انسل وخرج من الفيلا وهو يتوقع ضربة بشيء ، وحمد الله أنه نجا بس بمجرد مجموعة ضخمة من الشتائم والسباب القبيح ، وتابع علي سبه وغضبه على ريناد زوجته وشتمها وأمرها بالذهاب لأهلها وانه سيطلقها في المحكمة فغادرت رعبا لشقة نادية وهي في حالة صدمة وبكاء وروت لها القصة واتصلت بعمار وكمال لحل الإشكال .

***

ذهب عمار متنكدا إلى بيت والده بعدما تلقى الاتصال من أمه ليفهم القصة فصاح فيه الأب : ماذا تريد ؟ تكلمت معك العاهرة ؟

ـ عيب يا أبي هي امرأتك أولا وأمنا ثانيا

صاح بغضب : عدت من النادي وجدتها تشرب الشاي مع عشيقها

ـ عشيقها !! من عشيقها ؟

دخل كمال يصيح : ما هناك يا عالم ! نحن نكبر أم نصغر ؟ ما القصة ؟

صاح علي : انتهى الموضوع أنا طلقت بنت أمجد وأنا كنت انتظر غلطة منها .
قال عمار : من هو العشيق ؟ أنا أول مرة بأعلم أن لأمي عشيقا ويأتيها في الدار ؟!
رمى كأس شراب كان أمامه وصاح : لماذا لم تسألها قبل أن تأتي إلي ؟
صاح هو الآخر : أحببت أن اسمع منك أولا يا أبي حتى لا تقول إنني تحيزت لها
جلس واشعل سيجارا وصرخ على الخادمة طالبا الشراب ثانية ولما افرغ الكأس في جوفه قال : ذهبت لزيارة بنتها عصرا وذهبت أنا لنادي العسكر ، ولما رجعت حوالي التاسعة وجدتها تجلس مكانكم مع عشيقها حمامي
قال كمال : أستاذ الجامعة زميل الجامعة
ـ نعم أستاذ الجامعة
فقال عمار صراخا : وهل هو عشيقها ؟كيف عرفت أو من قال لك ؟
صرخ علي الهائج : لم يقل لي احد .. كنت ذات ليلة في المعسكر كان دوري في المناوبة الإدارية وتمكنت من اخذ إجازة لساعات وعدت للبيت ولما سألتكم عنها تلك الليلة قلتم ذهبت لحفلة خاصة في الجامعة في احد النوادي ، فلما مشيت إلى هناك لم أجدها ، ووجدت الحفلة منتهية فقيل ذهبت في حالة سكر شديد مع الدكتور حمامي وذكروا لي عنوان منزله فذهبت إلى بيته وفتح لي فوجدتها في غرفة نومه وعلى سريره ، وتبين انه دكتور اعزب أو ارمل فتشاجرنا وضربت الدكتور وأخذتها على دكتور خاص استطاع إيقاظها من السكر وأكد لي أنهما أقاما علاقة جنسية أو اغتصبها دون إدراكها وعدت بها ولففنا الموضوع وبعدها انتقلت لجامعة أخرى وحذرتها من أي خيانة .. فلما أر حمامي معها وفي بيتي كان لابد من طلاقها
فقال عمار متشككا في رواية أبيه : وهل اعترفت لك بإقامة علاقة مع حمامي أم طبيبك زعم ليرضيك عندما أبصرك غاضبا فقال لك ذلك
ـ وماذا كانت تفعل في غرفة حمامي وعلى سرير غرفة نومه ؟!
قال كمال بعد صمت وصدمة : ما أنت قلت أنها سكرانة وفاقدة وعيها من شدة السكر

وصحاها الدكتور وعالجها

قال عمار متنهدا : اذا صح تصديق الدكتور فهي في حالة اغتصاب فلا تلام ..اليوم فهمت لماذا هي في حالة رعب منك وخضوع غريب مع أنها دكتورة؟!

صرخ جنونا : لأنني اعرف فحشها ومسكتها بالجرم المشهود

قال : والحل يا أبي

ـ الحل أن تعيش مع ابنتها سأطلقها غدا رسميا بإذن الله .. أنا لا اعرف ماذا كانت تفعل أثناء غيابي عنها بالأيام والأسابيع ؟ وأخي منصور لما جرت القصة كان في أول وزارة له ..هو الذي منعني من طلاقها يومئذ ، وقال سأزوج ابني شرفا لما يكبر من ابنتك لا نريد أن تنتشر قصتها وخيانتها ويقال أمها خائنة وطلاقها سيثير الأقاويل . فلزمت الصمت

قال كمال متفهما عناد أبيه من زواج نادية لغير شرف : هذا سبب إصرارك الغريب على زواجها من شرف

ـ أجل لأنه سوف تعرف قصة حمامي أو ربما غيره من العشاق عندما يسألون عن أم نادية أما زواج داخل العائلة لن يسأل احد عن فحش أمكم وعهرها

قال : أسمعت بحكاية شرف الأخيرة وجريمته مع سكرتيرته؟

صرخ بجنون : سمعت مثل الناس وشرف رجل كبير وهو زير زنا من أيام الثانوية

***

انتقل الشابان لبيت شقيقتهم لرؤية الأم فبعد التحية قال عمار : كنا عند أبي لإصلاح ذات البين وذكر لنا سبب المشكلة ..فهل صحيح ما يزعمه عنك من عشاق ؟

أطفأت سيجارتها وجرعت جرعات ماء ومسحت دمعات سقطت على خديها وخلعت النظارة وقالت بهدوء أو حاولت أن تظهر هادئة : دعوني اسمع ما افترى أبوكم ..تعالي اجلسي يا نادية عادت للجلوس ، عندما دخلا وصافحها ، ظنت أنهم لا يرغبون بسماعها لحديث أبيهم عن أمهم ، رووا قصة نومها في شقة حمامي وهي في حالة سكر بعد حفلة صاخبة وأخذها لطبيب

أفاقها من الشراب وفحصها من الاعتداء الجنسي وزعمه بتعرضها للاغتصاب قالت وهي تفكر : حسنا ! السكر عليّ ليس بجديد ؛ فأنا اسكر منذ عرفت الدنيا مثلكم ، كانت حفلة كغيرها من الحفلات التي تقام في نوادي الجامعة والكليات.. أكلنا وشربنا رقصنا ليلتها وأكثرت من الشراب حتى الثمالة كما يقال حتى لم اعد أسيطر على كياني ونفسي ، وهذه ليست أول مرة تحدث معي في عرس في عيد ميلاد في رأس السنة ، وتلك الليلة كنت اعلم أن أباكم في معسكره فقلت اسهر معهم وشربت كثيرا من اقوى الكحول .. فلما انتهت الحفلة تعبت وعجزت عن الوقوف وأصابني صداع شديد ولم اعد استطيع الوقوف طويلا وقالوا أن قيادتي السيارة قد تسبب لي حادثا فتبرع حمامي بتوصيلي للبيت فوافقت وذهب بي لشقته وأنا في ثمالة عالية ريثما يخف تأثير الشراب .. وهناك أخذني لغرفة النوم حيث سريره وألقى بي عليه حتى بثيابي فكنت منهكة لا أرى بشكل واضح ولم استيقظ إلا في حضور أبيكم باحثا عني وتشاجر مع الدكتور وربما ضربه عدة لطمات وساقني لسيارته ودكتوره الذي عمل لي إفراغ معدة ومهدئات واجرى لي فحص جنسي وزعم إنني تعرضت لاغتصاب ، ولكني لا ادري صحة ذلك تلك الليلة لقد كنت شبه فاقدة الوعي.. وعدنا للبيت وهو في حالة غضب وهيجان وتشاور مع عمكم بالقصة حول الطلاق والانفصال وكان عمكم في تلك الفترة وزيرا فقال : لا تفعل ستحدث فضيحة وانا في موقع حساس اليوم يا علي وكذلك على سمعة العائلة فلتبق على ذمتك والأمر مشتبه فيه فأنت قلت كانت غير صاحية ولا تدري هل حدثت علاقة جنسية بوعي أو غير وعي ؟ فاصبر إلى حين ولا داعي لأولادك بمعرفة ذلك الحادث .. فابنك طالب كلية شرطة وعمار ضابط جيش ونادية في الثانوية العامة تروى في ردة الفعل ، وتعهد لأبيكم بأن يزوج ابنه شرفا من نادية أثناء الجامعة أو بعدها حتى لا تعرف هذه القصة .. وهجرني كزوجة ..وتزوج امرأة أخرى بدون علمكم أنتم تعيش أو عاشت معه قرب معسكره تلك الفترة .. وقضت معه سنة أو اكثر ثم طلقها .. ونحن أمامكم وأمام العائلة أزواج فهذا سبب امتناع زواجك يا نادية من شاهد خشية نبش الماضي وانتشار القصة .. وانا بعد الحادث انتقلت

لجامعة أخرى بمساعدة منصور الوزير .. وقبل زمن يسير التقيت بالدكتور حمامي زميل الكلية وكادر التدريس فدعوته لشرب فنجان قهوة في البيت فوافق .. وكان الأمر علنيا وحضر الرجل كضيف ولم اذهب معه لمقهى أو مطعم أو نادي ، وكنت أظن أن أباكم في البيت والأمر نسي فأنا بالنسبة لأبيكم مطلقة وديكور .. وأنا شكوت لكم حتى أتحرر منه وأعيش حياتي

قال كمال بامتعاض : أنت غير معترضة على الطلاق

ـ أنا عشت مطلقة .. أو شبه مطلقة .. صبرت من أجلكم .. وأبوكم لما تزوج بدون علمكم كانت زوجته الأرملة تعيش معه في المعسكر ولم ينجب منها حسب أقواله

قالت نادية : وهل قطعت علاقتك بحمامي بعد تلك الفضيحة ؟

صاحت بسخط : فضيحة عند أبيك وعمك فقط .. تركت الجامعة التي يعمل فيها ، ثم تزوج بعدها بأسابيع وعنده امرأة .. كنت نلتقي أحيانا في ندوات ومؤتمرات جامعية

قالت نادية :ومن أجل ذلك حرمتموني من شاهد ولماذا حرمتموني من شاهد ؟

مسحت دموعا مزيدا من الدموع وقالت : كان عليّ أن اخضع لأبيك وعمك .. اعتقدوا أن زواجك من خارج الأسرة قد يتسبب بكشف المخفي من أحداث تلك الليلة اللعينة ويسيء لسمعة الوزير واعتدت على الصمت وعدم الشكوى وأبي رغب بذلك إلا اذا أحببت الزواج

قال عمار : بعد الطلاق ماذا ستفعلين ؟

قالت : سأتزوج مثل الناس ..المطلقة تتزوج

قال كمال : تتزوجين حمامي

قالت : حمامي فقط صديق ..وقصة الاغتصاب فقط ثابتة عند أبيك وطبيبه الذي فحصني .. لم يعترف حمامي باغتصاب قال لأبيك ألقيتها على السرير حتى تصحا خجلت أن أنقلها للبيت وهي سكرانة على الآخر

قالت نادية معاطفة : كنت استغرب من ضعف شخصيك أمام أبي وأنت دكتورة جامعة اكثر معرفة وعلما منه ..على كل حال سأتزوج أنا قريبا

قال عمار محتارا : شرف

ضحكت وقالت : شرف ! لا .. شرف سيتزوج سكرتيرته غالية غصبا عنه

قال كمال : لماذا ؟

ـ ستعلمون قريبا .. أما أنا سأتزوج صديقا لابن عمتي الدكتور هشام

قال عمار : الشيخ وهل تعرفينه ؟!

ـ ابن عمتي

ـ لا أراه في السنة إلا في مناسبة عزاء

وقال كمال : كيف ؟

فقصت الحكاية فباركوا لها وقال عمار : سنراك في لباس المحجبات وملابس المسبح

ـ وتركتها وتركته هو والشراب منذ التقيت بهشام ..فهو متزوج ابنة عمه محمد الدكتورة رجاء

الفصل الحادي عشر

أدخلت سكرتيرة شرف رأسها من باب مكتبه وقالت : شاب اسمه عاصم اخو السكرتيرة السابقة غالية

ـ دعيه يدخل

دخل الشاب الغاضب أو المتظاهر بالغضب دون أن تسمح له بالدخول نهض شرف عن مقعده وقال وهو يحاول مصافحة عاصم : أهلا عاصم

صاح مهددا : لم تف بوعدك لنا

ـ اهدأ .. حسنا .. اجلس نحن في مكتب عمل لا نجلس في مقهى أو الشارع

صاح : ارغب بالوقوف .. طال الانتظار

قال : أنا لا اخشى التهديد .. أنا لم اجبر أختك على النوم معي

صرخ مهتاجا : والا لماذا كنت تسمح لها بالذهاب لشقتك ؟ لتعمل لك الشاي أو تملأ لك الكأس خمرا .

رد : للسكر والسهر

قال : السكر والسهر يجوز في الحانات والنوادي الليلة والبيت

قال بنفس الهدوء : اسمع يا عاقل أنا امر بظروف صعبة يا سيد عاصم سأتزوج العاهرة التي حملت لترغمني على الزواج .. وحدثت كل الناس بعملية الإجهاض للضغط عليّ لقد فضحتني لدى القريب والغريب

قال : لم تف بتعهدك لها .. فليزم أن تضغط عليك وتنشر ما فعلته معها لكل الناس

قال : لما رأيتها مستعجلة عرضت عليها أن تتزوج من احد أصدقائي اذا القضية قضية زواج وستر .. فأنا صديقاتي كثر وهي تعرف .. النادي ملأن بالبنات

قال مهددا وملوحا بيده : اسمع يا حضرة المجرم .. نحن في نصف الشهر اذا جاء نصف الشهر التالي ولم تحدث خطبة رسمية وتعلن للناس يا شرف ستتعرض للضرر والأذى ولا تختبر صبري

ضحك شرف قليلا : لا أخاف تهديدك وصراخك وعويلك ..وهذه الجلسة مسجلة وستصل نسخة للشرطة

فقال : خليهم يحبسونني يا نذل . وبصق عليه وخرج

***

احتار شرف المدير الذي صدم لما علم وشاع خبر طلاق امرأة عمه في العائلة وانتشر الخبر في صحف المجتمع ، فتحدث مع أمه وشقيقيه الأكبر جاد والأوسط محمد عن السبب الحقيقي فقالت أمه مفسرة : القصة الغامضة التي ربطتك بنادية استيقظت من سباتها .وقصت قصة ريناد والدكتور حمامي فقال معقبا : وكان متزوجا أرملة في مدينة الجيش ونحن لا نعلم

قال الأخ الكبير المهندس جاد : كنا نسمع الهمس ونجعل من انفسنا لا نعرف شيئا .. وهذا كله بترتيب من أبيك وجدك .. فلماذا نتكلم ؟ كان عمك يريد طلاقها يوم الحادث ؛ ولكن وزارة أبيك أجلت ذلك ، وها هو اليوم يتحقق وزواجه الثاني لم يدم طويلا؛ ربما هو أيضا آخر

الطلاق رغم وفاة أبيك ..وأنت ماذا فعلت بعشيقتك وتهديد أخيها اللعين ؟

تنهد بعمق قال : تورطت معها الملعونة

قالت امه ديمة ضاحكة ومتهكمة : ليست أول ورطة منذ شببت وأنت تخرج من ورطة وتدخل في أخرى.. لا تسمع للإرشاد والنصح .. ظن أبوك لما اشتغلت في الشركة انك ستتغير

قال بجفاء : يا أمي من شب على شيء شاب عليه كما تقولون .. لما يغمز الشاب فتاة وتستلم له فليتسلى

فقال الأخ محمد : التسلية مع غالية لم تنته على خير

ـ صحيح .. ها نحن نماطل .. بس أنا تفاجأت بأخبار امرأة عمي كنت أظنها اشرف أنثى

ضحكت أمه وبينت : حدثت قصتها تلك عندما كان منصور وزيرا في الحكومة ؛ فكان لابد من ترقيع القضية .. أصلا قصة زواجها من عمك مثل قصتك اليوم مع غالية

قال : كيف ؟

قالت شارحة : عمك تزوج قبلها امرأة من العائلة ، ولكنها بعد سنة انفصلت عنه فلم تعجبها حياته العسكرية والنوم في المعسكرات والدورات في الخارج .. فتكاد أن تقضي أيامها في بيت أهلها كان يغيب بالأسبوع والشهر والأشهر بسبب الدورات والسفرات ولم تحمل خلال تلك السنة فاختارت الانفصال .

فقال الأخ محمد : كيف التقى بريناد امجد ؟

ـ تعرف عليها في النادي الذين تذهبون اليه من خلال حفلة أقامها النادي للتعارف، وكلما رجع من الجيش يتصل بها ويلتقيان في السينما المطاعم وبعد شهور تزوجها فوالدها كان صديقا للعائلة وهو من كبار الرأسماليين في البلاد وكذلك أخوها الوحيد ، وكان لها صديق راغبا بالزواج منها لكن العائلة فضلت عمك عليه، وولدت عمارا وبعده كمالا ولم تخلو حياتهم من عقبات كسائر الناس ثم نادية .. وعمار بعد الثانوية تحول لكلية الجيش وأثناء الدراسة تزوج ابنة احد الضباط زميل عمك وابتعد عن بيت العائلة ، ولما ولد كمال بنى جدك الثري عرفة فيلا

لأبيك وأخرى لعمك ولما انهى كمال الثانوية التحق بالبوليس ، ولما حدثت قصة حمامي مع أم عمار كانت نادية في آخر سنة من الثانوية العامة ، وتعهد أبوك لعمك بزواجك يا شرف منها واتفقوا على ذلك على أن ألا يطلق علي ريناد خشية انتشار الخبر .. وكان أبوك قد عين وزيرا منذ شهور .. فسكت علي وتزوج مرة ثانية دون نشر الخبر بنت احد الضباط الأرملة ونتيجة رفضه الخلفة منها انفصلا ، ولكن لما ظهر تعلق نادية بطبيب الكلية بعد سنوات من الالتحاق بالجامعة ذلك التعلق صعب على أبيك وعمك الاستسلام لها وقبل أن تصبح طبية مات والدكم واصر عمك كما تعلمون على زواجها منك وهي مصرة على الرفض

فقال الأخ الكبير : الآن ماذا سنفعل مع أهل غالية ؟

ـ سأظل أماطل

قالت امه : هذا ليس حلا .. تزوجها لحين ثم طلقها

قال مفكرا ومتأملا الفكرة : اخشى ألا استطيع الخلاص منها وقد وعدتها من اجل الإجهاض لتوافق بشقة والزواج القانوني .. وقد دبرت لها عملا لعلها تستكن لأنها صارت كل يومين ثلاث أمي تريد فلوس أمي تريد ..

قال الأم : يا لها من ورطة شنيعة !

ـ سأستمر بالمماطلة لعل وعسى يملون

قالت امه بقلق : لا خطر عليك من أهلها

عاود التأمل باقتراح امه ديمة وقال : الخطر موجود منها ومن غيرها سأفكر بالزواج منها لحين كما أشرت

الفصل الثاني عشر

أقام المهندس لبيب حفلة زواج بعدما تم التفاهم الكامل بينه وبين الدكتورة ، وتزوجت دون موافقة علي علاء الدين وحضرت أمها وأخواها حفل الزواج وأم شرف وشرف نفسه وشقيقاه وشقيقتاه وعلموا أنها تركت الشراب والدخان وأنها التزمت بالصلاة واللباس الإسلامي اذا

صح تسميته بهذا الاسم مميزا عن لباس التعري الشائع في بلاد ودول العالم الإسلامي وكان ذلك أمام دهشتهم جميعا ، ورحلت لشقة لبيب زميل ابن عمتها الدكتور المعروف هشام منذر وقبل لبيب التعاقد مع خادمتها الآسيوية وانتقلت للحياة معهم ، وكانت أم شرف تقول لريناد وهما على وشك مغادرة الحفل : أتراها تنجح يا ريناد بزواجها من المهندس لبيب الشيخ ؟ وهل انتهى مرضها من شاهد ومن حياتها الماضية ؟

ـ أتمنى لها النجاح وأن يكون حظها مع الرجال أفضل من حظي ؛ ولكني منذ فارقت بيت أبيها لاحظت اتجاهها نحو التدين ظننت أنها ردة فعل على عدم زواجها من شاهد نحن خشينا حدوث العكس الانصراف للانحراف .. وكنت أتردد عليها قبل طلاقي لقد خشي أخوتها أن يتحول منزلها لدار دعارة انتقاما منا ؛ فكانت تقول لي لا اسمح لنفسي بالفاحشة يا أم عمار سأتغير إلى للأفضل.. أتحدث مع هشام وهو وعدني برجل محترم وأديب قولي لزوجك لن ادخل رجلا بيتي أنا شاهد رغم حبنا لم امكنه من نفسي ولو طلب ذلك لفعلت مثلي مثل كثير من فتيات النادي أو الجامعة

كأن أم جاد دهشت فقالت : سبحان الله هي عذراء لليوم !

قالت : حسب علمي نعم .. هي منذ سعى ذاك المراهق في الاعتداء عليها كما تذكرين في المسبح وقد نفرت من هذا الفعل لم اسمع بقصة حب لها إلا مع شاهد وكنا نرى أنها نزوة كلية فقط

قالت أم جاد : كنت أراها لعوبا .. وشرف أقول لم يكن ليستحقها اذا كانت هكذا لم تعبث مع رجل قبل معرفتها بشاهد وغيره

قالت : على ذكره ما صار معه مع أهل تلك المرأة سمعت كمالا يقول انهم يلوحون بالتهديد

ـ يصرون على زواجه منها .. وأنا نصحته بفعل ذلك .. فلم يطلبها احد بعد شيوع جريمة الإجهاض ..وكان من الصعب أن يقبل شرف جنينها بالحرام

قالت ريناد : اذكر أيام الثانوية وقع في مثل هذا المطب

قالت معترفة : شرف دون إخوته للأسف متهور مع الفتيات .. والفتيات هذه الأيام سريعات

الاستسلام للجنس لقاءان ثلاث تصبح خليلة.. وشيوع موانع الحيل زادت الطين بلة

ـ صحيح وكذلك الملاهي والخمور والاختلاط في كل مكان

قالت : خاصة الأحياء التي نعيش فيها ؛ لأجل ذلك مندهش من حياة نادية في مثل هذه البيئة ولم تسقط .. لا حديث للشباب إلا النساء والأغراء .. حقيقة ملابس البنات هنا اقصد حينا كأنهن عاريات مثل الأجانب .. فيصعب على الشبان الصبر .. ستبقين عزباء

أجابت : قضيت نصف عمري عزباء منذ تلك الحفلة المشؤمة وأنا بدون معاشرة زوجية ..لقد شغلني العمل عن تلك الرغبة فأصبحت تحت مراقبة علي وخشيت أن يقتل الدكتور حمامي القصة التي تعرفينها التي زعم انه اغتصبني كما ظهرت نتيجة فحصه لي ولما سألته اقصد حمامي انكر أنه جامعني إنما ألقاني على السرير وانشغل بشرب القهوة والتدخين وبعض الشراب

قالت أم جاد مديرة شركة خاصة أسسها زوجها لها منذ زواجها بمنصور : لديّ عريس يبحث عن أرملة أو مطلقة

ضحكت ريناد وقالت : لم يبرد زواج نادية ها نحن فيه .. والأولاد أنانيون غير مشجعي على الزواج .. وأبي وأخي سيشترون لي عمارة .. سأترك منزل أبي .. فامرأة أبي متضايقة من وجودي بينهم

ـ جيد استثمار وسكن ..وستعيشين وحدك

قالت : أنا كما تعلمين متقاعدة وأتقاضى راتبا شهريا جيدا واعمل محاضرات هنا وهناك وفي برامج التلفزيون للحديث حول العمل الإداري .. سكنت مثل نادية في شقة مستقلة ؛ لكن بدأت اسمع كلاما خبيثا مصدره أكيد علي فطلب والدي مني السكن معه حتى انه قال لو سكنت مع نادية سيقال الكثير من الشائعات لم يرحب يذلك .. الرجال يحلون لأنفسهم ما يسمحون به لنا

قالت : ولماذا العمارة إذن ؟

قالت : كما قلت دخل من الإيجارات والبعد عن امرأة أبي وافتعالها المشاكل واذا فكرت بالزواج

سأتحدث معك ؛ لأنني لن اخلص من أقوال علي حتى لو تزوجت

قالت : معك حق يا ريناد !

الفصل الثالث عشر

دخل عاصم دبوس مكتب شرف مندفعا بعنف وقبل أن ينهض شرف قائما وقبض على قميصه من عند العنق وقال : لم تنفذ الزواج .. وها هي ابنة عمك تزوجت غصبا عن عمك وقد كنت تتحجج لنا " أنا مربوط بابنة عمي "

قام شرف غاضبا وابعد يديه عن قميصه وقال : هذا تصرف غير مقبول اتصلي بالشرطة يا سهام واستدعي حارس الأمن فورا

قال : أتظن أنني خائف من الحبس والحارس

قال شرف : كيف أتزوج عاهرة ؟ أتعلم أنها بغي ؟

ـ أنت جعلتها كذلك

واقترب من شرف ثانية وقبض على ثياب عنقه ونطحه رأسا وصفعه وهو يقول : هذا قبل الحبس ..يا ويلك بعد أن اخرج ولم تتزوج غالية لن نقبل أن نبقى مسخرة للعيلة والجيران

سقط شرف على احد الكراسي عندما افلته بعد نطحة الرأس ، ودخل حارس بوابة الشركة ومسك بيد عاصم : ماذا فعلت يا مجنون ؟ هذا مكتب عمل ليس ساحة قتال ومشاجرات

ـ دعني قبل أن افش غلي فيك

دخل رجال البوليس والنجدة وقال احدهم وقد تعرف على عاصم : هو المشاجرة معك يا عاصم .. ما هي القصة يا سيد شرف ؟

ـ القصة أهانني في مكتبي ونطحني رأسا وصفعني ؛ كأنني تلميذ مدرسة .

قال شرطي وهو يضع الكلبشات القيود في يد عاصم : في الشركة تهين الرجل .. هيا معنا يا شرف للنقطة . وتلقى عاصما صفعة من احد الشرطة فقال لشرف : ستدفع ثمنها يا شرف يا ويلك إن خرجت من السجن ولم تتزوج شقيقي .

وقيد إلى سيارة النجدة وتبعه شرف لمركز البوليس لعمل محضر بالمشاجرة .
وعاد الموظفون رويدا رويدا لمكاتبهم وهم يتحدثون بالعلقة والإهانة التي تعرض لها مديرهم المراهق ، وبعد ذهاب الشرطة دخل أشقاء شرف الشركة ولكن البواب أو الحارس قال لهم : ذهب للمخفر واختصر لهما المعركة . وبعد المحضر حجز عاصم وقد رفض شرف وإخوته التنازل عن حقهم وحضر محامي الشركة ، ووعدهم رئيس القسم أن الأمر سيعرض على المدعي العام صباح الغد وبعد أيام حكم عليه بالحبس عشرة أيام لأن السيد لم يصاب بضرر كبير حسب تقرير الطب الشرعي فقالت له أمه : قلت لك هؤلاء أشرار تزوج بأي صورة لحين
ـ اخشى ألا استطيع الانفكاك منها !
قالت : من أين التقطها أنت ؟
قال مبينا : قدمت طلب للعمل وأعجبني جمالها فتسهل توظيفها فقلت نوظفها في قسم الطباعة ثم رقيتها لسكرتيرة ، هي متخرجة من كلية إدارة الأعمال .. متعلمة ليست بنت شارع لم اكتشف أنها ترسم على الزواج مني إلا بعد فوات الأوان لما حملت وظهر الحمل .. ونتيجة قصة نادية اقتنعت بالإجهاض .. ولم استطع أن أتخلص منها وحشر اخوها الوحيد نفسه فينا فوالدها ميت قبل العمل عندنا ولم يخجلوا لطبطبة الموضوع
قالت بأسف : قلت لك مئات المرات ستقع في شر أعمالك .. ليس كل الصيد في جوف الفرا

***

وقع شرف منصور في شر أعماله كما قالت أمه ديمة ، ولما خرج عاصم من السجن اتفقت الأسرتان على الزواج ، وكان حفلا شكليا وبأعداد قليلة ، أكثرهم من أقارب غالية وكان زواجه في منتصف حزيران بعد اقل من شهر من زواج ابنة عمه نادية علي التي تزوجت في آخر الربيع سنة ١٩٧٨ ، وعادت الفتاة إلى شقة شرف زوجة شرعية وتحت التهديد ، وكان شرف مجرد ضيف في شقته ولم يقربها جنسيا رغم كل إغراءاتها وهو يقول : شبعت منك قبل الزواج
واعتقدت هي أن الأيام ستغيره ويعود للحياة الطبيعية بين الأزواج ؛ ولكنه لم يفعل كان يذهب

لدور الدعارة والنوادي الليلة ، ويعترف لها ولأمها بذلك دون خجل ، ومضت شهور ثلاثة دون فائدة مجرد زوجين أمام الناس دون أي علاقة حتى اضطرت أن تهدده بأنها ستفعل مثله وتبحث عن الفجرة والعشاق ، ومع ذلك لم يلين فاستمر محرنا عنها ، ولا يأتي البيت إلا في نصف الليل وهو مترع من الخمر والشراب ، لم تنجح حتى أخذت تذهب للمسبح في وقت عادته الصباحية وتجلس مع الذين يسبحون مبكرا وتقهقهه معهم وتتغزل فيهم وهو كالحجر ، ثم ترك عادة المسبح وانتقل لمسبح آخر ، وكانت تشتكي لأمها من الجفاء الشديد بينهما ، ويبحثون عن حل وادركوا أن هذه الحيلة والإرغام لم يأت بفائدة فأخذت أمها تفكر بحيلة قاسية تدفعه للزواج الحقيقي ، فهمست له بأنه إن لم يعتبرها زوجة حقيقية ستسعى لسمه والخلاص منه لترث أمواله أو اغلبها فقلق من هذه الفكرة الشيطانية ، وهو ادرك أن أمها شيطانة بثوب بشري ، ويفكر بكيف ستضع له السم ويفكر بطريقة للخلاص منها ومن أهلها الأشرار على رأي أمه

كان شرف يفكر بطريقة يتخلص من زوجته وأخذ تهديدها بقتله بجد وأن الحقد والانتقام يدفع الإنسان لفعل أي شيء

الفصل الرابع عشر

اتصلت ريناد بنادية مخبرة لها أن والدها يرقد في المستشفى كما اخبرها عمار ، لقد اتصلت به زوجة أبيه التي تزوجها بعد طلاقها وأخبرته بنقل زوجها إلى مستشفى الجيش ، واتصل بها لتخبرها فهي منذ خرجت من بيت أبيها وعلاقتها مقطوعة معه ، فرافقها لبيب إلى المستشفى واعتبروها فرصة لمصالحة الأب ، تردد عمار بالسماح لهما بالدخول على أبيه وتعرفت على امرأة أبيها ، ورفض والدها رؤيتهما، فغادرت وزوجها ، فذهبت لعيادتها الخاصة لقد أنشأت عيادة بعد زواجها منذ اشهر .

وظلت على اتصال بعمار وهو يعدها بعد خروج الوالد بأن يسعى للصلح مع أبيها ، ولكن بعد يومين جاءها خبر وفاته متأثرا بالجلطة القلبية التي أصابته ، فبكت عليه ،وذهبت مع زوجها

ووالديه وعمتها فاطمة وزوجها وهشام وعمه وشاركت عمار وكمال العزاء ، وقضت الأيام الثلاثة في بيت الأجر كما يقال ، حتى أمها كانت هناك من أجل خاطر الأولاد ، وانتهت حياة القائد وانشغل الأولاد بميراث والدهم ، وكانت زوجة أبيهم ترفض بيع الفيلا وتزعم أن أباهم سجلها باسمها لتقبل الزواج منه ، وتبين صحة ذلك وأن الأمر جرى خفية عنهم خشية اعتراضهم ، فصدموا وحاولوا ثنيها عن ذلك ، فرفضت مشاركتهم إياها ، واخذ الشجار والنزاع يحدث ويشتد بينهم ويكبر دون فائدة ، ورفضت أن يعيش كمال وأسرته في الفيلا معها مم دفع الزوجة ببيع الفيلا سرا عنهم والاختفاء في مدينة أخرى ، وحاول كمال معرفة مكانها وتقاسموا بعد عجزهم قسمة ما امكنهم حصره من أموال بنكية ، ولم تكن شيئا مذكورا ورفضت نادية اخذ أي مليم منها .

***

وكان شرف بعد وفاة عمه قد رتب خفية عن زوجته غالية بيع الشركة الخاصة به لأخيه محمد ووكل أخاه بفعل ذلك ، وكان قد سعى سرا للهجرة إلى كندا ، ولما استقر فيها ارسل امر الطلاق لزوجته غيابيا وتوكيلا للمحامي الشرعي فارس ماهر ، وكانت شقته معروضة للبيع فاشترتها أسرة غالية بما تحصلوا عليه من أموال بسبب الطلاق وبقيت فيها مستقرة وانتقلت أمها وعاصم الأعزب للعيش معها .

***

بينما نادية تجلس في عيادتها الخاصة قالت لها عاملة العيادة : مدام سلوى ترغب بالحديث معك تركت العيادة لتر مدام سلوى ، فوجدتها صديقتها أيام الجامعة زوجة الدكتور وليد صديق رفاق الكلية فاحتضنتها بحرارة فهما مفترفتان إلى حد كبير منذ افترقت عن شاهد ودخلت بها للمكتب الصغير وقالت للعاملة : شاي يا علا شاي هذه زميلة الكلية سلوى خازن .. طبيبة مثلي

ـ يا أهلا بالحبيبة كيف أنت يا سلوى بل كيف زوجك ؟!

بررت سلوى سبب الزيارة : كنا راغبين يا حبيبتي بتعزيتك بوفاة الوالد ـ رحمه الله ـ ولكن ظروف شغلتنا عن ذلك.. كيف أنت وكيف أنت وزوجك ؟

ـ الحمد لله وشكرا لكما وتلقيت برقيتكم للأسف كنت أنا وأبي على غير ما يرام

قالت : علمنا أنك تركت البيت حتى قبل زواج صديقنا شاهد .. وكم تمنينا أن تتزوجا ولكن قدر الله وما شاء فعل .. إن شاء الله مرتاحة مع المهندس لبيب احمد

ـ قدر الله وما شاء فعل .. الحمد لله . وضربت على بطنها وقالت : أنا حامل بفضل الله

صاحت بفرح وبهجة : ما شاء الله بالسلامة يا عزيزتي

دخلت علا بالشاي وقالت : امرأة دخلت ومعها طفل

ـ ادخليها غرفة الفحص .. بس نشرب الشاي .. وأنت ما أخبارك ؟ هل حملت بعد ذلك الإجهاض ؟

ابتسمت وقالت : للأسف لم يقدر الله بعد .. أنت خلاص صرت تلبسين ثياب المحجبات

قالت بفرح : افضل قرار اتخذته في حياتي ؛ لعلك سمعت بطلاق أمي

قالت بهز رأس : سمعنا بذلك وأسفنا له

قالت وهي تترك كوب الشاي : كله بقدر الله لننظر المريضة أو الطفل .. أتتواصلون مع الدكتور شاهد

قالت : يسلم عليك دائما ويستحي أن يتصل بك خشية الإحراج .. وأكثر تواصلنا معه على الهاتف فهو يعيش في مدينة أخرى غلاب

قالت : هيا ننظر للطفل أيهم خذي شايك .. زوجي لبيب تزوجته عن طريق ابن عمتي الدكتور هشام منذر

قالت سلوى : سمعنا .. الأخبار تمشي .. الشيخ الفاضل تلك الأيام ما كنا نسمع شيئا عن أبناء عمتك

ـ شبه مقاطعة من أبي وعمي لم نكن نعرف لماذا ؟ ولم نكن نهتم ونفكر بالأمر .. وزوجي وأبناء

عمتي يعرفون قصتي مع شاهد والمهندس لبيب كان متزوجا قبلي وامرأته ماتت بمرض غامض بعد ولادتها بمولود ميت ..ولما صرت أتواصل مع ابن عمتي بأمور شرعية عرضه ابن عمتي عليّ وتزوجنا بدون موافقة أبي عن طريق القاضي والمحكمة

رحبت الدكتورة بالسيدة أم أيهم واستفسرت عن الوضع وأجرت المعاينة ودردشت مع الفتى وأمه وصرفتهم بوصفة طبية بسيطة وعادت وسلوى للمكتب وقالت : وأنت ما أخبارك يا أختي

ـ أنا سعيدة جدا بأخبارك وسأفعل مثلك .. وكنت أظنك آخر فتاة أتخيل أنها ستلتزم بالإسلام كيف حدث هذا ؟

ـ هذه بدها قعدة يا سلوى .. أنا طبعا بطلت أروح السينما والمسرح والمسبح والمراقص بعد العيادة اذهب لحضور دورات شرعية بمساعدة لبيب وهشام في الجمعيات الثقافية والإسلامية وتعليم القرآن ..أشياء كنا بعيدين عنها . . وأنت ربما تعلمين أن للدكتور هشام الفاضل درسا أسبوعيا في التلفاز .. حقيقة نحن في واد وهشام ودار عمتي فاطمة في واد آخر كأننا لم نكن أقارب

ـ حقيقة كما تعلمين نحن بعيدين عن التدين .. شغلنا آخر فيلم وآخر مسرحية وآخر حفلة غنائية .. وآخر قميص أو بنطلون ..

ـ كالعادة الهم تضييع العمر وإماتة الوقت

قالت سلوى بضحكة قصيرة : كلام جميل من الشيخة نادية!

ضحكت وقالت : لم اصل لمرحلة المشيخة ؛ لكني في الحقيقة سعيدة بحياتي هذه اكثر من الأول

عادت سلوى تسأل : لم تبيني لي كيف انقلبت ؟

ـ سأطلب قهوة ـ ونادت على علا وطلبت منها كوبين قهوة

تنحنحت وقالت : أتسمحين لي بالدخان مع القهوة ؟

ـ عادي .. أنا طبعا بطلت الدخان أيضا

هتفت سلوى : آ .. حقيقة أنت اليوم نادية غير نادية الكلية

ـ الحمد لله .. التغيير حصل لما رفضت الأسرة اكثر من سنتين ونصف أن أتزوج من شاهد كما تخبرين .. وقدمت مجموعة من اقتراحات لشاهد ؛ ولكنه لا يخرج عن شور العائلة ..فاتخذت قرار هجر بيت أبي .. ولم يرضخوا أبضا خاصة أبي وأمي وحتى جدي .. فبدأت الإشاعات عن علاقتي الجنسية الحرام .. ولا يكاد يمضي يوم حتى تزورني أمي أو احد الشباب محاولا إقناعي للعودة وسمعة العائلة مع أنني أحضرت خادمة منذ دخلت الشقة لبث الطمأنينة في نفوسهم المريضة .. فأنا أعرف الناس بهم .. ما يفعلونه هم لا غبار عليه أما ما تفعله الإناث فعيب وحرام ويقولون عن انفسهم متحضرون ؛ فكأن التحضر عندهم الشراب والعري والعطر .. فما وجدت حلا مقبولا عند شاهد أو شرف إلا الحديث مع ابن عمتي هشام واسمع إرشاده ونصحه وحتى زرته لأول مرة في حياتي في بيته وكان نعم القريب والمرشد وحدث الانقلاب رويدا رويدا ولما اقترب الزواج كنت متهيئة للتغيير " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " وأنا احب لك ما احب لنفسي

قالت : ثبتك الله يا نادية أنت كما قلت صورة أخرى عما عرفناك

قالت ببسمة بيضاء : أتمنى لك الخير والسعادة ..واذا أحببتم أنت وزوجك أن تتعرفي على زوجي فلا حرج .. يكاد بيتنا لا يخلو من الزوار المحبين للبيب .. وخادمتي رحلت معي هل ولد لشاهد أطفال ؟

ـ لحتى الآن لا .. أنت تعلمين أن زوجته هي أخت زوج أخته .. مثل زواج البدل

قالت : اعرف وسلمي عليه وعلى زوجك .. اخذ الاختصاص وليد

ـ نعم أخذنا كلانا الاختصاص .. أنا تخصصت في طب الباطني مثلك ووليد أخصائي في أمراض الصدر والشرايين

حضرت القهوة واستأذنت من جديد بتدخين سيجارة وقالت : كنت قلقة من استقبالك لي يا نادية .. لم نحضر زواجك ولا عزاء والدك .. قصرنا معك

ـ كان حفل زواجي مختصرا ومقتصرا على قليل من العائلة .. ولست متضايقة منك ولا من وليد ولا حتى من شاهد .. كما تعرفين كان خائفا من تهديدات أهلي خاصة أبي ولم اجد لديه الشجاعة لنتزوج رغم رفض أبي .. سمحت له بتركي ونسيان سنوات من العمر كانت جميلة بيننا ، وكانت أسرته لا ترغب أن يتزوج بدون رضا أبي فكان التحرر لكلينا الخيار الأفضل .. أدركت أن الحياة ستكون بيننا صعبة .. وأنا ارحب بك دائما .. فلماذا أعاديك أصلا ؟ أنا ابغض الكره بطبعي .. وكم تعرضت لمواقف سخيفة ومحرجة ؟ فلم اكره كل من ضايقني .. وكل شخص حر بحياته وأفكاره

ـ أنا حقيقة معجبة بك جدا وبأفكارك وبشجاعتك ..فكان وليد يقول اخشى أن تطردك فنحن منذ ابتعاد شاهد عنها وتركه العيادة أو المستشفى لم نتكلم معها

ضحكت من اعتقاد وليد وقالت : لم اهجر أي صاحبة عرفتها في الكلية أو أثناء العمل ؛ لأن علاقتي معهم جميعا علاقة عمل أو دراسة .. هو شاهد كنا أنا وأياه متميزين بسبب هواي له وهواه لي .. ولم اكن في الكلية أتنقل من عاشق لآخر .. وأنت تعرفين ذلك بسبب قرب وليد من شاهد وقربي منك

قالت : حقيقة أنت قصة رائعة .. لقد كان عمك الوزير وأبوك القائد المعروف

ـ هي القضية أن عمي كان وزيرا فيتحرج الطلاب من إقامة علاقات اجتماعية معنا ..وانا ارحب بكم دائما .. وبعض زميلتنا يتواصلن معي إلى حد ما لليوم ..وأما شاهد فأنا لا اكرهه .. افترقنا بود وأنا بصراحة خشيت أن يصاب بمكروه من أسرتي .. وادركت خوفه منهم .. ولبيب تزوجني يا سلوى بنفس الظروف كان والدي حيا ..وله نفس الفكرة من لزوم الزواج من شرف رغم فضائحه وإجهاضه لسكرتيرته التي كنت اعرف علاقته الجنسية معها ، وهو لم يكن يرغب بالزواج مني حقا .. فكنا نسبح معا ولما قابلت السكرتيرة معه في المسبح ادركت أن الأمر كبير ينهم وها هي أجبرته على الزواج منها حتى اضطر للهرب لكندا

ـ هرب

***

لما عادت سلوى للبيت ولعلها عادت بهيئة سعيدة فقال لها وليد مازحا : كدت ابلغ عن اختفائك وتأخرك

قالت : ليتك فعلت لعلي أصير مشهورة

قال : كيف وجدت صديقة الكلية ؟ فأرى السعادة مرسومة وواضحة على وجهك .

فقالت : لم أقابل نادية

صاح استغرابا : قابلت من إذن ؟ ألم تقولي سأغامر وأرى نادية علي بعد كل هذه الشهور من التدابر والتناسي ؟

قالت :نادية التي نعرفها غير نادية التي قابلتها .. نادية متزوجة من مهندس شيخ صديق لابن عمتها الشيخ هشام ياسين الذي يظهر أحيانا أو كثيرا في التلفاز الذي لا يشاهده احد

صفن لحظات يفكر بصورة الشيخ هشام ثم قال : اعرفه! رجل فاضل وهل هو ابن عمتها ؟

قالت : اجل ، أمه أخت والد نادية ؛ ولكنهم بعيدين عن طباع أسرة نادية ؛ لذلك نحن نجهله ولا أذكر أنني سمعتها تتحدث عنه أو حتى عن عمتها أم هشام .. فهو الذي عرفها على صديقه وزوجها بدون موافقة أبيها .. وتركت الملابس غير المحتشمة أو قل السفور والتبرج للشارع وتركت الخمر وحتى السجائر .. محجبة بحق يا دكتور والأجمل أنها في حالة حمل بفضل الله .. وأبشرك بأنها لا تكرهنا ولا حتى تكره شاهدا وترحب بنا لزيارتها والتعرف على زوجها وأما شاهد فلا تريد أن يحصل أي لقاء معه خشية قيل وقال وأنها تسعى اليه وترغب بالعودة اليه .. فقبلت أن ننقل نحن أخباره لمعرفتها بعمق صداقتنا له ولها

وتحدثت عن اكثر ما تذكرته من اللقاء فعقب وليد فقال : والله أنا مسرور مما سمعته ومن عظمتها .. فعلا هذه نادية غير التي عرفناها

ـ وهي تعمل بعيادة خاصة بها .. وهي تقضي أوقات فراغها بتعلم القرآن وسماع دروس ومحاضرات دينية في الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية وتشارك بنشاطات علاجية في

تلك الجمعيات والنوادي

ـ شوقتينني للنظر إليها والحديث معها

قالت :لم تتحرج للترحيب بنا وتعتبرنا من اقرب الناس إليها من أيام الكلية .. وكثيرا ما تسهر أمها المطلقة معها ..وترفض الزواج ؛ ربما تقول نادية خشية من إخوتها الذين لا يفقهون في الدين شيئا .. ويرون زواجها عيبا .

قال بحماس : أخبار طيبة .. والله سعيد أن اسمع عنها هذه الأنباء .. أنا فعلا خشيت عليها بعد هجرها لشاهد الانزلاق للنوادي والمخدرات

ـ لا تذهب للسينما ولا المسرح ولا النوادي الليلة والملاهي .. كما قلت نادية نسخة أخرى عن نادية بنت الجامعة .. كانت تأتيها الثياب من أوروبا وافضل أماكنها هنا بنت أخ الوزير ..كله اختفى .. يبدو أن زوجها محترم جدا يا وليد حتى لم تتردد بدعوتنا لزيارتها تقول دعيني أتشاور مع زوجي لنحدد لكم موعدا

ـ وفقها الله يا سلوى

ـ نعم وفقها الله وثبتها وبارك الله في لبيبها .. ويبدو أن السيد هشاما صديق لها بحق

ـ العجيب أننا لم نكن نسمع بهم

ـ كما قلت هم من بيئة ملتزمة ويبدو أن أمهم السيدة فاطمة على الدين وبعيدة عن إخوتها أو زوجها هو البعيد عنهم .. أسرته تسمى ياسين

ـ صدقت الدكتور هشام ياسين هكذا يقدم في التلفاز وهو دكتور شريعة ؛ ولكن لم اكن اعلم أن له قرابة لنادية علاء الدين

الفصل الخامس عشر

اتصل وليد ببيت شاهد فلم يجده فطلب من زوجته أن يتصل به عندما يعود ، وقرب نصف الليل رن جرس بيت وليد فقالت : لعله شاهد

فعلا كان المتصل شاهد حماد وقال مبينا لصديقه : قبل قليل عدت كنت في زيارة وسهرة ببيت

أختي بدون لمياء .. ما الخبر ؟

ـ غدا سأتحدث معك هي مجرد قصة أحببت أن أقولها

اصر شاهد على سماعها فقال ضاحكا : كنت راغبا بأخبارك بأن سلوى تشجعت وزارت صديقتك القديمة

ـ نادية

ـ نعم نادية ، لقد تجرأت زوجتي وزارتها في عيادتها الخاصة كما تخبر وقلنا لك إنها بعد زواجها فتحت عيادتها الخاصة

قال شاهد : علمت من أمي بعض أخبارها ووفاة والدها بجلطة وطلاق أمها قبل وفاته ؟ ما أخبارها اليوم ؟

ـ صحيح ، أحببت أن أخبرك برغبة سلوى بتجديد صداقتها لها وقامت بزيارتها في العيادة وكأن لم يكن بينهنّ جفاء .. وهي حامل من المهندس لبيب

ـ ما شاء الله ! كانت اشجع مني حيث وافق أبوها على زواجها منه

قال مصححا : لا ، تزوجت عن طريق المحكمة بدون موافقة الأب .. مات وهو زعلان منها حتى انه رفض دخولها عليه وهو في المستشفى يبدو أن هذا الوضع يجوز الزواج بدون رضا الولي

ـ اعرف يا وليد ؛ لأنني سألت مكتب الإفتاء الرسمي ، لكن المشكلة يا أخي تهديدات أهلها وضعف أهلي أمام هذه المشكلة .. ولماذا يخاطر الإنسان بحياته لأجل زواج مخربش والكلام الذي تعرفه ؟ كيف سلوى ؟

قال : ستتحدث معك واعلم أن سلوى سعيدة بلقائها بنادية ودعتنا للتعرف على زوجها وابن عمتها الدكتور هشام ياسين الذي يسر لها ذلك الزوج وغيرها كليا أصبحت تلبس ملابس الشيخات يا شاهد .. تحجبت

ـ نادية !

قال : نعم نادية خذ كمل مع سلوى

قالت : مرحبا شاهد كيف حالك وكيف أختك وزوجتك ؟

أجاب : كلنا بخير ما قصة الزيارة؟

قالت : تشجعت وقلت لأزروها لا اعتقد أن تطردني لأنك تعلم منذ سماحها لك بالزواج لم نعد نراها .. الحق يا شاهد أنها نادية أخرى غير التي عرفناها .. سيدة محجبة تركت الدخان والشراب والأفلام والمجون التي عرفناها فيها .. متدينة بحق ورغبت بأن ازورها أنا ووليد .. وتسلم عليك كثير السلام تقول لولا خشية الكلام لدعوت شاهدا معكم .. لا تريد أن تفتح مجالا للإشاعات

ـ عليها السلام وأتمنى لها الخير وانقلي لها تحياتي .. وهذه أخبار مفرحة يا دكتورة وأنت شجاعة بزيارتك لها .. وأنت تعلمين معزتها الخاصة عندي لكن الظروف الصعبة أجبرتني عن الابتعاد وكيف أنت والعزيز وليد ؟

ـ نحن بشوق لرؤيتك فلما تأت المدينة لا تنسى أن تمر علينا

ـ أكيد أكيد سلمي عليها إن رأيتها ثانية

ـ إن شاء الله وأنا افكر بجد أن أقلدها .. تبدو أن الدنيا فعلا تافهة.. لما رأيتها وسمعتها لم اصدق أنني اجلس مع صديقة الكلية .. سلم على زوجتك تصبح على خير ووليد يسلم

***

بعد زيارة سلوى لنادية أخذ الزوجان يهتمان بدروس هشام ياسين التي تذاع على شاشة التلفزيون ، وكان درسه الأسبوعي إجابة عن أسئلة شرعية يرسلها المستمعون للتلفزيون وتبين لهما أن له موعظة على الأثير المحلي مساء كل أربعاء ضمن البرنامج الديني وبعد زمن يسير من المتابعة .قال وليد : حقيقة رجل فهمان بدا لي رغم ضعف ثقافتي الدينية وحق لنادية أن تتأثر به والذي يحير يا سلوى لا اذكر أني سمعتها تتحدث عنه أو عن كل أولاد عمتها عنه وعنهم

قالت : هذا استغربته مثلك ، وقالت لما سألتها عن جهالتنا به كانت علاقتنا بهم رسمية جدا

والسبب زوج عمتها المتدين بحق ، وبعدنا الكثير عن الدين ، وتعودنا تقول على النفور من المحافظين والمشايخ

قال : هذا هو الصحيح كنا نراهم ؛ كأنهم في كوكب آخر هؤلاء الشيوخ حتى نحن وشاهد كنا نقلل جدا من الجلوس معهم ذكورا وإناثا مجرد تحية ومرات نستخسرها فيهم ، بل كنت استغرب وجود مثل هذه الأشكال في كليات علمية كالطب والصيدلة والتمريض وكنت أتعجب من إعلانات الدعوة لمحاضرات دينية

قالت بتأمل : هكذا نشأنا يا وليد نشمأز منهم ومن أطروحاتهم نقول هؤلاء يتحدثون عن الوضوء والحيض والاغتسال والصلاة وأتعجب من صيامهم وأفكارهم مع أننا مسلمون مثلهم

ـ التنشئة لها اثر كبير فينا

قالت : المساجد موجودة في أحيائنا يا وليد ..وكان يخطر على بالي كلما انظر المأذنة فأقول محدثا نفسي لماذا بنيت بين هذه الفلل والقصور ؟ ..كنا نظنها فقط للصلاة على الأموات كما هي الكنائس ومعابد الديانات الأخرى

قال سعيا للتعليل : هو الصحوة الإسلامية نشطت كما اسمع بعد نكسة العرب عام ١٩٦٧ بدأت ترتفع وتيرتها واخذ الناس يهتمون بالمساجد والتيارات الإسلامية بمختلف مسمياتها .. حتى أن لي أخا تدين فجأة فكان سخرية للعائلة حتى أبي .. ولما تخرج من الجامعة هاجر لأمريكا ولم يعد لليوم

قالت مذكرة : لي أخت أيضا أسيل لعلك سمعتني اذكرها وهي اكبر مني بسنوات تدينت فترة ثم تركت

حرك رأسه وقال : أتذكر ذلك وإن لم احظ برؤيتها فقد كانت في كلية الهندسة كما قلت لي رغم القرابة بيننا وللأسف تزوجت شابا شيوعيا كما سمعت من والدتك مرة أو اكثر

قالت متذكرة وموضحة : هي تعلقت بالمتدينات في المرحلة الثانوية ، ولم تلق أي ترحيب وسط

العائلة وحين التحقت بالكلية درست هندسة صناعية وكانت اصغر من أخي الكبير حسين بأقل من عامين واكبر مني بثلاث سنوات استلمها شباب التيار الإلحادي فتأثرت بهم وتزوجها جميل وهو قريب لنا إلى حد ما وهو معروف في وسطهم بالثائر الشيوعي المتأثر بجيفارا الأرجنتيني صاحب فيدل كاسترو الكوبي ولما انتهت الجامعة سافرا بعد زواجهما فورا إلى بولندا ، وما زالا هناك ، فأنت لم تراها لما تعرفنا ولما تزوجنا كانت متخرجة في أول سنتين لي في الكلية الطبية ومهاجرة

ـ ما أخبارهما ؟

ضحكت لحظات : تزعم أنها سعيدة وتجنسا كما قلت لك مرة ، وتعمل مهندسة في احد مصانع الاتحاد السوفيتي في بولندا

استفسر بقوله : جميل مهندس مثلها نفس التخصص

ـ آ .. لكنه هذه الأيام مريض لا يعمل

ـ مريض !هل عرفتم مرضه ؟

ـ مرض في الرئة لا اعرف ما هو ، فلا تكتب لي شيئا .. علاقتها بوالدتي اكثر حتى انه يتغيب كثيرا عن العمل فهمت هذا من أمي

قال : هل رتبت لزيارة لبيت نادية أنا في شوق لرؤيتها بعد هذا الانقلاب واللقاء بزوجها

ـ نسيت أن أقول لك الموعد .. مساء السبت القادم الساعة الخامسة عصرا

ـ في النهار

ـ اجل

الفصل السادس عشر

أدخلت أم شرف ديمة مستشفى العافية الخاص على اثر مشاكل في الصدر وتقرر بقائها في المستشفى لأجراء المزيد من الفحوص والصور الطبية المختلفة وقضت أسبوع كاملا تحت المراقبة والفحوصات ثم تبين أن في الدم تخثرات تظهر وتختفي ولم يكتشف الأطباء سببها

فالقلب يعمل بشيء جيد والشرايين والكولسترول طبيعي لامرأة في سنها فوق الستين وأعطيت أدوية تمنع التخثر وتنظم تسارع دقات القلب ورجعت للبيت يحفها الأبناء ذكورا وإناثا حتى أن شرفا حضر من كندا للاطمئنان عليها فور اتصالهم به وتفقد ممتلكاته التي تركها في البلد .

وبعد أيام أصابتها نوبة قلبية في نصف الليل ووصلت للمستشفى في حالة موت مما ادهش فريق المعالجين وبعد التشريح الطبي نقلت للمسجد في الحي والشارع وتم دفنها في مقبرة عائلة زوجها الوزير منصور علاء الدين وبالقرب من قبره ، وتأجل سفر شرف ولما رأى نادية التي جاءت بصحبة زوجها وأمها وأبناء عمته للعزاء لم يكد يصدق أن هذه الفتاة التي عرفها منذ وعى يمشي على الأرض فقال أثناء العزاء مادحا : عرفت الاختيار .. شكرا يا دكتور هشام حقيقة .. أنت زهرة ومفخرة الأقارب خسرنا بإبعاد أبينا وعمنا عنكم .. ها نحن نطارد الدنيا دون فائدة

تمنوا له الخير وقال هشام : باب التوبة لم يغلق يا ابن خالي .. سمعت انك تعيش في كندا

ـ اجل بليت بامرأة فاجرة وعائلة مجرمين

ـ سمعت أنك طلقتها

ضحك وقال : طلقتها يا ابن عمتي وهربت لا تنساني من دعاء أنت والمهندس الشجاع لبيب أكيد علمت بقصتي مع هذه الإنسانة الرائعة

فقال لبيب : نعم سمعت لعلك تزوجت كندية

رد ضاحكا : الزواج منهن غير مشجع إلا لأخذ جنسية كندا .. ترجع للبيت تجدها في حضن صاحبك أو زميلك في العمل .. أعيش مثل اكثر شبابهم بدون رباط زوجي للأسف اذا صح الأسف .. وانا سأعود ربما قريبا للعيش هنا يا امرأة عمي . مخاطبا أم عمار

قالت ريناد : أهلا شرف امرأتك السابقة سمعت أنها تزوجت بعدك

قال متمنيا : سأعود وأتزوج امرأة صالحة عسى أن يحدث ذلك

فال هشام مشجعا : عندما تنصلح أنت يا ابن خالي ستجد الزوجة الصالحة

ـ حبيبي هشام

***

اتصل الدكتور حمامي بصديقته ريناد صديقة الكلية في كادر التدريس والإدارة فلما تبينت من هو رحبت به فقال لها : ما أخبارك ؟

ـ بخير وكيف أنت ؟ لم تحضر لندوة الجامعة

ـ كنت مريضا هل أنهيت الكتاب الذي تكتبنه عن البنوك في أوروبا الغربية ؟

ـ أنهيت اغلبه ما الذي أصابك ؟ أشعر انك متعب صوتك لا يبدو صوت حمامي .

ـ إرهاق لا ادري من أين يأتي الإرهاق ؟ قد اترك التعليم مثلك

ـ أنا كما تعلم أعطي محاضرات غير رسمية

قال : أما زلت لا ترغبين بالزواج ؟ عندي أموال أنت ابدى بها من الورثة

ضحكت وقالت : لست بحاجة للمال ما عندي يكفي يا حمامي

ـ ارغب بالزواج مللت العزوبية ما رأيك ؟

قالت : تزوج اذا وجدت من تقبل بك فأنت قربت على الستين

ـ لماذا لا نتزوج يا ريناد فأنا أحببتك تمنيت لو عرفتك قبل علي

قالت : أنت غدرت بي وسببت لي المشاكل مع علي .. كان عليك أن تعيدني للبيت تلك الليلة لا تذهب بي لشقتك .

ـ كنت في حالة صعبة لو فعلت سيقال لك الكثير ..كنت في حالة شديدة من السكر قلت تنامي قليلا من الزمن ثم نذهب إلى سيارتك وأرافقك للبيت .. والله أنا لم اغتصبك يا ريناد لو حدث لقلت لك أنا أخذتك للبيت ذلك اليوم المشئوم لحالتك تلك الليلة قلت لما يخف اثر السكر والعربدة ، وأنت ذكرت أن زوجك في المعسكر فلن يهتم احد بسهرك وغيابك .. وزعم زوجك ذلك لحاجة في نفسه كان يرغب بطلاقك والطبيب صاحبه وكذبوا عليك ولولا منصور

لتخلص منك.. لا تنسي أن منصورا كان وزيرا من اشهر وهو الذي وقف في منع الانفصال

ـ كان تصرفك غلط .. كانت نادية والخادمة في البيت لا أن ترمي بي على تختك

ـ وما أدراني أن عليا سيأتي ولا تنسي أن سيارتك كانت في النادي اقبليني زوجا

ـ لا يقبلك الأولاد يا حمامي .. والا صدق الناس القصة ..كرهت الرجال أو قل المعاشرة من تلك الساعة.. والفحص الذي أقامه علي

ـ كذب صدقي انه كذب لم يحصل مني جماع واغتصاب .. أنا كنت متعبا مثلك وإن شربت اقل منك

ـ أنا كنت متيقنة انه كذب ولكني رأيت التقرير

ـ تزوير يا ريناد لو حدث مني شيء سأعترف لك بعد كل هذه الأعوام

ـ تزوج يا حمامي لا تفكر فيّ .. أنا أصبحت عجوزا بيني وبين الستين سنوات

ـ أنا رغبت بك زوجة لأكفر عما حدث نحوك

ـ فات الأوان .. الأولاد لا يرغبون بزواجي بعد طلاقي من أبيهم ..وقد تقدم عدد غيرك فرفضت ورفضوا

ـ ما زلت تكتبين للصحف والمجلات المحكمة

ـ أتسلى واذهب تارة للمسرح واحضر الأفلام العالمية وبعض الرحلات القصيرة

ـ أنا اسف جدا وتأكدي أنني لم اغتصبك تلك الليلة ؛ لأنني كنت مثلك في حالة سكر وإن في حالة أضعف ولم يكن في خلدي أنني سآخذك للبيت؛ لكن الظرف وحالتك دفعتني لأتبرع بتوصيلك وخشيت أن أخذك لبيت الأسرة وأنت في تلك الحالة السيئة من الشراب سامحيني

ـ سامحتك من زمان لا تظن انني كنت سعيدة مع علي ؛ لكنها الحياة وعلى المرء أن يتحملها تزوج أيها الصديق أنا من يومها لم أعاشر رجلا وحتى علي فأصبحت في نظره مومسا

***

لم يمض على هذه المكالمة الصريحة أسابيع حتى انتشر خبر زواج حمامي من امرأة كانت تعمل

مدرسة ومتقاعدة في مدارس الدولة ومطلقة مرتين ، وتلقى برقية تهنئة من ريناد ، وانتهى حلم الانتظار لعلها تلين ليكفر عما سببه لها من أذى وحرمان عاطفي وصمتها القاتل أمام الأسرة وتقاليدها وخضوعها للتقاليد ولمنصب الوزير منصور .

وبدأت مشاكل حمامي مع زوجته من ليلة الدخلة ، فقد تبين انه عاجز جنسيا من إقامة علاقة ناجحة ولم تفلح الأدوية التي امتلكها لمساعدته في غشيان الزوجة التي بعد شهر أبدت ندمها للزواج منها فما كدنا نصل لمنتصف ١٩٧٩ حتى قال لها بحدة : أنت تعرفين ضعفي وقلت لك لي سنوات منذ ترملت لم أمارس العلاقة ربما مرات محدودة وها نحن نتعالج فاصبري لا داعي للفضائح من أول شهر

ـ لديك امل

ـ ولماذا لا يكون لدي امل كل شيء سينصلح نحن لا نسعى للخلفة فحسب علمي المرأة اذا اقتربت الأنثى من الخمسين لن يحدث حمل

ـ أنا لم أطالبك بالحمل

ـ خلص تحمليني بضعة اشهر فاذا استمر العجز سأطلقك وتأخذين ما اتفقنا عليه .. الأدوية الجنسية تملآ الصيدليات دون فائدة

ـ لا يصلح العطار ما افسده الدهر

ـ حتى وصفات العطار لم تفلح معي لكن الدكتور قال عليك بالهدوء والاسترخاء والصبر لعل طبيعتك الميتة تعود إلى حد ما .. وسيهتم بمعالجة غدة البروستات فلها دور في الدورة الجنسية

ـ بعد ست شهور كل واحد عند أهله لآخر العام

ـ حاضر يا ست الكل

الفصل السابع عشر

في مطلع العام ١٩٧٩وضعت نادية ابنتها الأولى في مستشفى خاص وكانت ولادة طبيعية لم تحتاج لعملية قيصرية ولا دم إضافي وكانت مسرورة بطفلتها وبفرح زوجها بها ؛ وكذلك

شاركتها أمها تلك الفرحة والسعادة ومكثت ليلة واحدة في المستشفى الخاص بالولادة وعادت لقصرها تغمرها السعادة والحبور بما أنجبت وشاركها أقارب زوجها وأبناء عمتها فاطمة الفرحة والمناسبة واشتغل البيت بالاستقبال والتوديع مدة شهر من الزمن ، وقامت سلوى ووليد لما تعافت بزيارة للمباركة لها ولزوجها بابنتهم الأولى التي غمرتها الفرحة بفرحهم لها ، وكانت هديتهم عبارة عن سلسلة من الجواهر التي أخجلت نادية فهي ثمينة في نظرها . وقالت سلوى : اقل الواجب يا نادية صداقة عمر يا حبيبتي

قالت : شكرا يا دكتور وليد .. أتمنى من كل قلبي أن يهبكم الله ولدا تقر به أعينكم

التفت وليد للبيب : شكرا لكما نحن مسرورون وفرحون بسعادتكم

قال لبيب : جزاكم الله خيرا ؛ وكما تمنت نادية لكم من الخير أتمنى لكم ذلك ..فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا ..أنا رزقت من زوجتي الأولى طفلا ؛ ولكنه مات ، ثم لحقت به أمه ليقدر لنا أنا ونادية أن ننجب هذه الطفلة الجميلة قمر

قالت سلوى : تتربى في عزكم وكنفكم

وقضوا سهرة ممتعة وغادرا وليد وزوجته وهم يغبطون نادرة وزوجها على طفلتها قمر وقالت وهي تجلس في السيارة : سبحان الله لم اكن أتوقع أن تتزوج نادية من احد سوى شاهد لتعلقها وهوسها به وهوسه بها ! وها هي تزوجت المهندس لبيبا وولدت منه ..وشاهد مثلنا لم تلد امرأته شقيقة زوج أخته بعد

ـ يكاد صاحبنا يجن لعجزه عن الخلفة ، ربما يتزوج عليها أو يطلقها كما يقول لي لأنها هي الأخرى تضيق من عجزهما عن الخلفة ..وانا عن نفسي فكرت بالعلاج خارج البلاد اذا وافقت فلنا زمن والحياة الزوجية بدون أطفال وذرية تثير القلق

قالت : لا تنزعج من ناحيتي لا تقلق رضيت بقضاء ربي كذا طبيب راجعنا ويقولون لا عوائق فماذا سيفعلون في خارج البلاد؟ .. أمي تأخر حملها الأول لأربع سنوات يا وليد

***

اتصلت ريناد بنادية مطلعة لها عن تعرض شقيقها كمال لحادث اطلاق نار من عصابة مخدرات أثناء عملية مداهمة في حي اشرف بوري

ـ حسنا هل رأيته ؟

ردت : لا ، اتصل بي أخوك عمار حتى امرأته بنت الناس لم تكلف نفسها للحديث معي وتخبرني والحادث ليلة امس فقبل قليل كشف لي عمار الحادث واستغرب لعدم حضوري فقلت لم اسمع إلا منك الآن وقال : أحببت أن أخبرك لما يفوق بشكل مقبول

ـ انتظريني سأخبر لبيبا وأمر عليك ربما يأتي معي فبينهم مجاملات إلى حد ما

بالفعل استأذن لبيب من الجامعة حيث يعمل رئيسا لقسم الصيانة للكهرباء والماء ولما وصل البيت قال : هشام سيرافقنا

ـ سنذهب لأمي ونأخذها معنا

حضر هشام تصحبه أمه وتبعهم لبيت أم عمار وركبت مع نادية ، وتحركوا إلى مستشفى الشرطة وسمح لهم بزيارة غرفة كمال وهنئوه على نجاته من غدر العصابة فشكرهم وشكر عمته على همتها وقال : حدث خطأ أثناء المداهمة فقد ظننا أن المكان فارغ وأنهم هربوا لما سمعوا سياراتنا لم تكن العملية سرية بلغ عن الرجل والمنطقة مراقبة من أيام وقيل لنا أن البيت فارغ فصدقنا المخبر هذه هي القصة

دعوا له بالشفاء والسلامة وسأل هشام : هل ستؤثر الإصابة على عملك ؟

كانت الإصابة رصاصات في الساق فقال : ربما انتقل للعمل في المكاتب ، هو تعمد اطلاق الرصاص على سيقاننا ليتمكن من الهرب؛ ولكن الزملاء اضطروا لإطلاق الرصاص على صدره فمات ولكن عصابته اغلبهم في قبضة الأمن

قال لبيب مواسيا : العمل مهما كان شكله ونوعه لا يخلو من صعوبة

قال كمال مؤكدا : صدقت كيف أنت والطفلة ؟

ـ الحمد لله .. الحمد لله على نجاة الخال الغالي إن شاء الله نراك قريبا بين أولادك

قال : شكرا يا نادية! حقيقة كلنا معجبون بك وبحياتك الجديدة .. آه يا دكتور هشام ويا سيد لبيب لما قررت الانفصال عن بيت والدي انزعجنا جدا وليس باليد حيلة .. نحن صحيح نعيش حياة الأجانب ؛ لكن ما زلنا لا نقبل حياة البنت مستقلة بدون زواج حتى المطلقة أو الأرملة إلا اذا كانت لديها أسرة أطفال كبار وحتى وعندها أطفال مستقلة الناس تتوغش منها سامح الله أبي كان أبي يتفوه بكلام قذر على التي تعيش وحدها يا عمتي

قالت العمة : والدك موسوس للأسف لأن له سقطات قبل أن يتزوج أمكم .. تزوج واحدة قبلك يا ريناد وفشل زواجه منها

قال هشام : رحمه الله والحمد لله على السلامة يا ابن خالي وان شاء نراك في بيوت الله

ضحك كمال وقال : لا يفوتك هذا النصح يا ابن عمتي والله الواحد يتهيب من الجلوس معك .. ألا يكفي انك قلبت نادية !

ـ لم اقلبها هي قلبت نفسها .. فكرت في الحياة بشكل جيد ووجدت كلامي مناسبا لروحها والتغيير يبدأ من الإنسان نفسه يا رائد كمال

ـ والله لا تظن انني اجهل الصلاة .. لكن صلواتي متقطعة لم نرب على ذلك .. وتعلقنا بعادات فيما بعد علمنا أنها رديئة .. لعل هذا الحادث يغير فيّ لولا لطف الله ولو اصبنا في الرأس أو الصدر لقتلنا مع هؤلاء الملاعين غلطة الشاطر معهم بألف

***

وما كاد ينسى القوم حادث كمال علي حتى نشرت بعض الصحف حادث الدكتور حمامي دكتور من جامعة (ابن سيناء الفارسي) والذي لفت الجمهور إليها أنه قد تعرض للخنق حتى الموت في شقته ، والذي كشف الحادث الغريب زملاء الكلية بعد تغيبه عن الجامعة مدة ٤٨ ساعة بدون تبليغ بالغياب عن الوظيفة ، وبلغت الشرطة والأمن السري فدهموا البيت ووجدوا جثة مخنوقة بحزام سرواله ، وكشف الطب الشرعي أن تعرض للتخدير قبل خنقه ، ومن ثم تبين أن امرأته التي تزوجها من شهور وشبه مطلقة وتعيش عند احد أبنائها هي التي تسببت في اغتياله

وتتبعت الشرطة حركاتها من ساعة تحديد الوفاة ، وتبين للشرطة سعيه للزواج قبلها من مطلقة العميد علي عرفة علاء الدين وأقرت ريناد بذلك الطلب المتكرر ؛ وربما قبل زواجه بأيام ناقش معها العرض واعتذرت فتزوج تلك المرأة الأرملة ، وحدثها عن وشك فشل زواجه لعجزه الجنسي البتة ، وتبين أن الضابط عمارا ابنها زاره في بيته وطالبه بالكف عن الاتصال بأمه فهو الذي دمر حياتها الاجتماعية وحرمها من العلاقات العاطفية مع أبيه فوضع موضع شبهة جنائية وثبت بعد حين بعده عن مسرح الجريمة والذي دفعه للقاء به انه عندما اتصل بأمه كان عندها في البيت وتضايق من المكالمة فاضطر للذهاب لبيته المعروف له وحذره من الاتصال بأمه وإزعاجها وهي لا تفكر بالزواج بعد كل هذا العمر ، ثم تبين للشرطة أن زوجته وابنها اشتركوا في الجريمة ، زاره الشاب ليتفاهم معه على ترتيبات الطلاق ودفع مؤخر الصداق لأمه ؛ لأنه كان يساوم على عدم دفعه أو للتقليل منه ، مما دفعه للشجار معه ثم خنقه وخرج بالخفية فاضطرت الزوجة لتعترف بتهور ابنها ولعنت الساعة التي عرفت فيها الدكتور حمامي وقبلت به زوجا

الفصل الثامن عشر

كانت غالية دبوس تعاني من زواجها من قريبها والعيش معه في شقة شرف التي اشترتها بعد هربه لكندا وعرضها للبيع ؛ فكان الزوج يكثر من الكحول والتعاطي ، وهي التي تتكلف ذلك وقد كان عمله ضعيفا وكان شقيا مثل شقيقها عاصم ؛ بل كانا كثيرا ما يجتمعان في شقتها للتعاطي والشراب، فضجرت من كل ذلك ، ولم تتمكن من الحمل رغم سنوات الزواج وفصلت من عملها اكثر من مرة ، فحصل بينهما الطلاق ، وقامت ببيع الشقة ، وأعطت أمها ما ساعدتها به .

قال عاصم عاتبا عليها : لقد غضب مني زوجك النحس

صاحت في وجهه : هذا ليس بزوج، هو يعتبرني بقرة حلوب ، ودائما يعيرني بأنه جبرني وستر عليّ

قال مهونا من الأمر : كلام كلام يا غالية ؟ هو تزوجك عن حب وقناعة كما يقول

صاحت : اسمع شبعت من ضحككم مني وعليّ .. تزوجني من اجل المال والحشيش .. وأنت ساعدته على هذا الاعتقاد

صرخت أمها فيهما : دعوننا من اللعين .. هو متسول يا عاصم .. عواطلي مثلك .. أنت وهو لا تثبتان على عمل سكر حشيش .. أنهكتم جيب غالية

فصرخ فيها محاولا التظاهر بالغضب : ما بنتك مثلنا تحشش وتسكر

أجابته :لكنها بتشتغل وبتشرب من جيبها وبتصرف عليكم .. عليك بالبحث عن عمل ها هي طردت من وظيفتها

ـ معها فلوس البيت

قالت غالية : أعطيك إياهن واجلس اشحذ .. هذه الفلوس سوف اشتري فيها شقة صغيرة أواري فيها بدني .. أرجوك يا عاصم ابعد عني وعن فلوسي

قال بوقاحة : هذا خطأ .. لقد نسيت ما عملت لك مع عشيقك شرف وكيف أجبرته على الزواج منك ؟ وقضيت أياما من أجلك في الحبس

ـ أخذت ثمن ذلك ولا تتمنن عليّ

ـ قضيت في السجن أياما

ـ ليست أول مرة تسجن يا عاصم.. رجلك متعودة على الحبس .. لقد حبست قبل أن أتزوج شرف مرات .. أنت زبون عند الشرطة .. رجاء دعني أعيش حرة

قال بحسم وشدة : اذا كنت تريدين البقاء في بيت امك عليك أن تشاركي بالمصروف ..الثلاجة لا يوجد فيها كحول

صرخت : قلت لك سأشتري شقة صغيرة واصرف على نفسي حتى اجد عملا مناسبا لا يجب أن تبقى عالة علينا وأنت رجل الدار

ـ رجل الدار .. ماذا سأشتغل؟ من يقبل أن اعمل عنده ؟ ليس لي إلا أن أعود للنصب والسرقة

قالت أمها بسخط واحتقار : احسن لك ! مللنا منك يا عاصم .. حتى زواج لليوم لم تستطع الزواج

ـ عدنا إلى أسطوانة الزواج .. ما ها هي بنتك تزوجت اثنين ولم تفلح .. لا ادري لماذا يتزوج الناس للهم والنكد ؟

***

وكان الدكتور شاهد أيضا يعيش مشكلة خطيرة مع زوجته وأسرتها وهي عجزه عن الإنجاب بعد كل هذه السنوات والتحليل والأدوية ، فنصحه احد الأطباء بالزواج من امرأة أخرى لعله يتمكن من الخلفة ، وبعد مناقشات مع أخته وزوجها وأهله وامرأته وافقوا على زواجه من امرأة واذا لم يتحقق المقصود عليه بطلاقها ووافقت امرأته لمياء على ذلك ، وخطبت له امرأة من المدينة من طبقة أدنى منهم اجتماعيا ليسهل طلاقها إن فشل في الحمل ، ورحل للمدينة وبعد وقت يسير حصل الزواج في أول الربيع ١٩٨٠ وسكن في بناية والديه حيث قد تزوج كل إخوته وأخواته فسكن معهم مع أمه وأبيه ، وزوجته الأولى رفضت الرحيل والعيش معهم

فقالت أمه له: لماذا لا تحب المجيء ؟

ـ يبدو أنها تفكر بالطلاق ؛ كأنه يصعب عليها أن تعيش ضرة مع أن زواجي الثاني هدفه الإنجاب فإذا حصل سأخيرها في البقاء على ذمتي أو الطلاق بإحسان فكأنها تستعجل الطلاق قبل حدوث الحمل من الشفاء

قالت أمه : نحن الأحوال هي التي دفعتنا إلى هذا الزواج الجديد ؛ لأنها تزعم لأختك انك عاجز عن الإنجاب وأنها سليمة وأنت تقول ليس السبب كليا مني

ـ فكرنا للسفر لبريطانيا فهم متقدمون في معالجة مشاكل العقم

ـ أليس ما هو موجود عندهم موجودا عندنا الطب عالمي لا يخص دولة دون الأخرى المهم همة الدولة في نقل المعرفة لبلدها ؟

قال : في الغالب بلى ؛ ولكنهم لديهم أجهزة وأدوات قد لا توجد في بلادنا لضعف استخدامها

وقلة الخبرة فيها .. لديهم تطوير وتحديث للأجهزة والأدوات .. دول متقدمة كما يقال

ـ متى ستستلم إدارة شركة الدواء ؟

ـ قريبا لقد تعاقدت مع مستشفى لمدة سنة واحدة ، ثم أتفرغ للإدارة وافتح عيادة خاصة

قالت مداعبة : ما أخبار صديقتك القديمة ؟

تنهد وقال : جزى الله والدها بما يستحق .. نادية إنها طيبة وكلما تقابل سلوى تبعث لي سلاما ووضعت بنتا سمتها قمر وتقول سلوى إنها حامل من جديد

ـ ما شاء الله .. بنت حلال ..كنت استصعب أن تتركك من قوة حبها لك

قال بنغمة حزن : ما كان أمامي إلا أن اتركها .. طال الانتظار وأبوها الغبي ظل مصرا على زواجها من شرف الذي هرب من امرأته لكندا

ـ نعم التقط أخبارها وقالت لي أم وداد قريبة لهم نادية امرأة أخرى غير التي عرفناها متعلقة بشاهد

دمعت عيناه واختنق صوته : أحببتها كثيرا يا أمي ! هذا الكلام من أم وداد ككلام سلوى ووليد فهم يتزاورون .. وزوجها رجل فاضل ؛ ربما احسن مني فاختاره الله لها ..هو ابن عمتها الدكتور المعروف هشام ياسين الذي اثر عليها ودفعها للتوبة والتحلي بالإسلام

ـ نعم صارت شيخة .. امر لم يكن احد يتوقعه منها تغيرت مائة وثمانون درجة وسلوى معجبة بها جدا ..فهي تودنا بين الحين والأخر .. وهي وزوجها مثلك يعانيان من عدم الحبل

ـ الأبوة والبنوة مشكلة الأزواج بعد ذهاب فورة الرغبة حتى الشخص لفترة يكافح من اجل الخلفة ثم يستكن ويصمت ويرضى بالمقدر .. أنت تعلمين كم كان حبي وهواي لها كنت أراها المرأة الوحيدة في دنياي ؛ ولكن إرادة الله كان لها الحكم الفصل ها هي ولدت وانا لم ألد بعد

ـ هذا الأمر بيد الله ؛ إنما كما تعلم الطب والمداوة من الأخذ بالأسباب

ـ صحيح يا أم كريم

الفصل التاسع عشر

كانت الدكتورة سلوى كلما تشعر بملل أو أزمة تتصل بعيادة نادية وتسألها عن محاضرة أو نشاط فتلبس ملابس تسمى حشمة وترافقها للنشاط ؛ بل بدأت ترتب معها للمشاركة في حملات الجمعيات في النشاط الطبي والاجتماعي .. ويعني ذلك أن تذهب فرقة أو مجموعة من الأطباء والطبيبات إلى حي معين من أحياء المدينة أو إلى الريف والقرى النائية لتقديم الخدمة الطبية مجانا للمحتاجين مع تقديم الأدوية المجانية .. وهي أيضا معاينات لا تحتاج لمستشفيات وتقدم للمرضى نصائح طبية ودعوتهم لمراجعة المستشفيات حسب أحوالهم واحيانا يقدمون مساعدات عينية من ملابس وأطعمة وحقائب أطفال للمدارس في موسم ابتداء العام الدراسي.. وكانت تفكر بشكل جدي بتقليد نادية وخلع ثياب الجاهلية والتقليد الأعمى للغزو الفكري والثقافي الأوروبي وكانت في فراغها وانشغال وليد عن البيت تزورها في البيت ؛ بل أصبحت احب زميلة لها وتكثر من الاجتماع معها ؛ لذلك حدثتها بدون قلق عن عودة شاهد من غلاب والزواج على امرأته من اجل الحمل والذرية وأنها هي نفسها بدأت تشجع زوجها لفعل ذلك ، واحيانا تراودها وتضغط عليها فكرة الطلاق والزواج من اجل الذرية ؛ ولكن وليدا ما زال قانعا بحياته معها رغم ما يسمعه من أمه وأهله من لسع الكلام ، فقالت لها نادية أمام هذا الموقف الشائك : ما دام هو راض بذلك يا سلوى فاصبري فهذه الخلفة بيد الله وانا من أعماق فؤادي أتمنى لك ولشاهد أن يهبكما الله الذرية الصالحة .

ـ عزيزة على قلبي يا نادية اقتربت الولادة ماذا سيسميه أبوه؟

تبسمت وهي تربت على بطنها : الأسماء كثيرة ربما على اسم والده عفوا جده عبد الله

ـ جميل ! كلنا عبيد الله ولماذا اسم جده ؟

ـ لما ثبت الحمل ـ يا صديقتي ـ وانه ذكر كما تقول أخصائية التوليد قال إن شاء الله نسميه عبد الله فاستغربت وقلت لماذا لا تسميه احمد على اسم أبيك العزيز ؟ فقال : أبي كان يحب أن يسمي احدنا ابنه على اسم أبيه فاغلب ذرية أبناء أبي بنات ، وجدي عبدالله ليس له إلا ابن ذكر واحد

هو أبي وسمى أبي ولدا على اسم أبيه ولكنه مات رضيعا ورفض جدي أن يسمى أبي احد أبنائه عبد الله بعدما مات عبد الله

ـ يا ..يا ! هذه قصة

ـ وأيضا اسم عبدالله من الأسماء الكبيرة في السنة .. فقد ذكر لي خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله، وعبد الرحمن وأصدقها: حارث وهمام .

فقالت سلوى : يولد عبد الله بالسلامة .. ما رأيك بالتبني ؟ وليد يقول اذا قضية أمومة تبني مولودا ؛ لكني غير متحمسة لذلك

قالت بتفكر : هو لا يوجد في الدين شيء اسمه تبني يا سلوى التبني حرام

قالت بدهشة : حرام لماذا ؟

ـ عندنا يسمى كفالة ككفالة اليتيم .. سورة الأحزاب في القرآن الكريم تنهى عن التبني ؛ لأنه لا يمكن أن يكون المتبنى ابنا حقيقيا قال تعالى " ادعوهم لإبائهم " وذكر الله في السورة قصة زيد بن حارثة رضي الله عنه وعن الصحابة كلهم عندما تبناه النبي ﷺ وألغى الله تعالى هذه العادة وحث الدين على كفالة الأيتام ورعايتهم كما تفعل جمعيات كفالة الأيتام في المدن الإسلامية .. لأن المتبنى قد يكون لا قرابة بينه وبين المرأة فيطلع على أمور محرمة عليه ، ويرث أموالا لا حق له فيها .. فهو في الجملة غريب .. وفي بلادنا ممنوع التبني فهو لا يحمل اسم المتبني وتسعى بعض المضطرات إلى إرضاعه من أختها أثناء فترة رضاعة طفلها ليحل له رؤية ما يسمح له برؤيته لأن يصبح ابن أخت بالرضاعة وهي بحكم الخالة له

قالت بصدق : أول مرة اسمع بهذه المعلومات

ـ لأن التبني غير منتشر في البلاد ؛ إنما هي حالات قليلة وترعى هؤلاء مؤسسات اليوم وتسمى دور الأيتام .. لأن بعضهم لقطاء تلدهم نساء خادمات ويرمون على أبواب المساجد والمعابد أو حتى الحاويات وأماكن النفاية .. المهم لهم مؤسسات خاصة وعامة فيسجل الطفل كما علمت من هشام ولبيب باسم الكفيل ويهتم به ويرعاه

ـ يعني مسموح بتربيته

ـ مسموح طبعا بس لا يصبح ابنا أو بنتا في نظر القانون للكفيل

ـ كلما اسمع كلامك الجاد أقول أهذه نادية التي عرفناها أيام الكلية ؟ .. كنت خبيرة أفلام وملابس وعطور ومكياج

ضحكت نادية وقالت : الأفلام لا اليوم .. أما الملابس اهتم بها وكذلك العطور وحتى المكياج لكن داخل البيت .. الشارع له لباس والزوج له لباس

ـ هل تذكرين أختي أسيل ؟

ـ نعم التي أنهت الكلية الهندسية على ما اذكر وسافرت مع قريبكم إلى أوروبا الشرقية بولندا ما زلت أذكر ما كنت تتحدثين عنها ومن اعتناقها فكر ستالين الشيوعي الملحد .. كم كنت أضيق منهم وهم يُنظرون علينا ببطولاته في حرب القرن ؟

ـ ما شاء الله ذاكرتك اقوى من ذاكرتي

ـ من لطفك ما لها؟

ـ قد تعود للبلد لم تعد بولندا التي هاجروا إليها هي نفس بولندا .. هناك تمرد مستمر على النظام اليساري الشيوعي ..

ـ اسمع أن المشاكل في الجزء الأوربي الشرقي .. ظهرت على ما اسمع حركات التضامن ضد الحزب الشيوعي أو السوفيتي

ـ ربما تعود قريبا يبدو أن الشيوعية ضعفت هناك وهي وجميل زوجها يحملان جنسية تلك البلد بسبب اعتناقهما الشيوعية والاشتراك بالحزب الشيوعي البولندي الحاكم

قالت نادية : رغم فسادي قبل توبتي لم احمل فكرا يساريا ولا قوميا ولا إسلاميا

ـ واليوم

ـ أنا امشي وأناصر الإسلامين لكني لم انتمي لجماعة معينة سلوى

ـ هشام ابن عمتك لا ينتمي لتيار معين

ـ لا ، هشام ينتمي لمدرسة دينية ولا ينتمي لجماعة

الفصل العشرين

لقد حدث حدث يستحق الذكر فقد حدثت معركة بين عاصم شقيق غالية دبوس ورفيق زوجها ، وزوجها بهجت قريبهم ، كان بهجت بعد الطلاق الذي اجبر عليه لأن غالية لم تحمل منه ، ويبدو أن عملية الإجهاض التي أجرتها في برلين سببت لها مشاكل في القدرة على الحمل ، وأيضا فصلها من عدد من الوظائف لتعاطيها الحشيش وكثرة الكحول واعتماد شقيقها الوحيد عاصم وبهجت على دعمها المادي لهما ، ولم تتيسر أمورهما المادية لفشلهما في ممارسة أي عمل جيد وضعف دخلهما من النصب والسرقة ، وتعرضوا للضرب من شبان ازعر واشرس منهم كانا ذات ليلة يسهران في مقهى لبنان وسط المدينة ويمارسان لعب الشدة عن فلوس قمار ، وعادة وتقليديا يلعب عاصم وبهجت شركاء مع الخصوم وبالطبع الغش والتلاعب في الورق واضح لمن يراقب الشدة وربما خلال اللعب تصبح أوراق الشدة اكثر من شدة واحدة نتيجة الغش فتجد الورقة من أنواع الوان الشدة اكثر من المعروف ؛ كأن تجد شيخ الكبة مكرر اربع مرات بدلا من اثنتين وهكذا كثير ورق اللعب ، احتج احد الخصوم على الزيادة في الألوان وانكر عاصم فعله لذلك الخداع ، واتهم الخصم أو احدهما بفعل ذلك ، وكان عاصم رغم مهارته في الغش يخسر بعض الجولات ، ورفض أن يدفع وشريكه المبلغ الذي تم اللعب عنه، وانتقل الاتهام والعبث إلى الصراخ والإصرار على رفض الدفع وقبول الخسارة ، ثم حدث الشجار والصياح والتهديد بين الأطراف وتدخل الناس بتهدئة اللعب والمعركة ، ولم يستسلم عاصم للهزيمة والإقرار بها فاخرج سكينا تسمى موسا ملوحا ومهددا به الخصوم فقال الشاب : اسمع ضب (اخفي) موسك قبل أن امسح فيك الأرض ما احد عمره رفع موسه عليّ يا ابن الحرام

ـ أنا ابن حرام يا ابن الزانية!

ـ تقول عن أمي زانية .. أنا أمي زانية يا ملعون!

وقبض على يده التي تحمل الموس وضغطها وأدارها للخلف ليرخي الموس فحاول بهجت

مساعدة عاصم فضربه شريك الخصم واشتغلت الأيدي والرجلين ونطح الرؤوس ثم ضرب الشاب بهجت بالموس الذي خلصه من عاصم ثم ضرب ذراع عاصم به ودخلت الشرطة بناء على اتصال من مدير المقهى ثم حضرت سيارة الإسعاف لنقل الجرحى إلى اقرب مستشفى

***

اتصل كمال علي بعيادة نادية مخبرا لها بوفاة جده والد أمهما ، المهندس أمجد سلامي ، وكان ذلك متوقعا لأن الرجل الثري نقل من أيام للمستشفى في حالة غيبوبة سكر قيل وهبوط حاد في الضغط ، فاتصلت بزوجها لبيب في مكان عمله وهو اخبر صديقه هشام وهشام اخبر امه وأبيه بوفاة والدة ريناد أمجد وكالعادة ذهبوا لمنزل والد ريناد المهندس أمجد وكان من أثرياء المدينة المعروفين فهو صاحب شركات مقاولات واستشارات مالية في مصانع وبنوك وله فقط ثلاثة أبناء بنتين وولد وريناد احدى البنتين والثانية مهندسة اسمها أسيل أم فاضل وكان العزاء مليء برجال الأعمال في المدينة ، وظلت نادية مع أمها حتى انتهى العزاء أما لبيب فكان يذهب كل ليلة ساعة أو اكثر ثم يعود للبيت، وبعد أسبوع اشتغل شقيق البنتين راضي بقصة الإرث وتوزيع ثروة الأب، وكان هو شريك في كثير من المشاريع الخاصة بأبيه وكان هو رئيسا لشركة الإنشاء والتعمير وكانت أخته أسيل أم فاضل تعمل معه، ثم تركت العمل لإدارة مصنع للحديد للعائلة .

وبعد حين عرض الشقيق راضي على الشقيقة الزواج من احد الأقارب ، وهذا لم يكن أول عرض تقدم به إليها منذ طلقت فقالت : بعد الخمسين لماذا الزواج ؟

ـ نحن عرضنا عليك ذلك منذ تركك المدعو علي

ـ اعلم لكني سعيدة بدون زواج ؛ منذ ذلك الاتهام الشنيع كشت نفسي من الرجال حتى أن أبي عرض عليّ الطلاق تلك الأيام فقلت سأخسر الأولاد كما خسرت سمعتي فغض أبي الطرف وكما تذكر كتب لي ووهبني العمارة انتفع منها كما تخبر رحمه الله.. اليوم البركة فيكم وفي أولادكم لا يقصرون بالتردد على عمتهم

ـ شكرا وأنت ونادية كيف اليوم ؟

قالت والسعادة تغمرها : كنز لم اكن احلم به .. بنت عظيمة لم اكن احلم أن أراها بهذه الأخلاق والحنان دائما تتصل بي وتزورني مع لبيب .. وهو رجل فاضل واحيانا يصحبهم هشام وزوجته للسمر والاطمئنان مع أنه ليس بيني وبينه قرابة كما تعلم ..كنت زوجة خاله .. فهو يفعل ذلك والله اعلم إكراما لابنتي وزوجها .. هو أيام خاله لم يدخل بيتنا إلا في مناسبات قليلة بحكم صلة الرحم

ـ نعم الرجل ، زادت معرفتي به بعد زواج ابنتك من صاحبه ماذا ستفعلين بأموالك ؟

قالت : أنهيت حصر الإرث

ـ صعب إنهائه بوقت قصير لتداخل أموالي واستثمارات أبي ؛ لكن هناك أشياء خاصة باسم الوالد سيسهل توزيعها .. وهناك عقارات ستعرض للبيع وستأخذ بعض الوقت

ـ بالنسبة لحصتي على اقل من مهلك ؛ ربما أساعد عمار وكمال بامتلاك بناية لكل واحد منهم كما فعل جدهم عرفة عندما أعطى لعلي الفيلا ومثلها لابنه الكبير منصور

ـ ونادية

ـ نادية ستلد قريبا وتقول إنها تحمل بعبد الله وزوجها يسكن في بيت يملكه وقد أهبها فيلا مثل اخويها أو هذه العمارة تستفيد من استثمارها وأظل معهم فهي كثيرا ما عرضت العيش معها .. وهي وربما لا تعلم أنت أنها لم تعد تصرف الكثير ؛ كما كانت أيام الكلية اليوم اغلب دخلها تصرفه على الأيتام والأرامل وجمعيات المساعدة

قال معجبا ومادحا : نعم الاستثمار ، كانت ابنتك أعجوبة بانتقالها من حياة الحب والعشق إلى حياة التدين كلنا كان مستغربا مما حصل .. فنحن نعلم سيرتها أيام الجامعة وتعلقها بذلك الطبيب

ـ شاهد كان حكاية عجيبة ..كانت تفكر بالهرب به إلى أوروبا لتتزوجه رغم أنف أبيها وإخوتها وكم خفت عليها لما تركت الفيلا لتعيش وحدها .. ولكنها كانت ذكية فمن أول يوم وظفت

عندها خادمة منعا للقيل والقال وسيشاع أنها تدخل العشاق والرجال .. ثم تركت ذلك الدكتور

ـ نعم كانت واعية للقيل والقال كما قلت لي ولقد شوش عليك ذلك الدكتور الذي قتل كما أخبرت أبي واخبرني بدوره

ـ قتله ابن زوجته الأرملة لما طلق أمه .. لا ادري قيل خنقه غدرا

ـ متى تنوين شراء المنازل والفلل أنا جاهز ومستعد ؟

ـ شكرا يا أخي الكريم ما أخبار صحة فايزة ؟

ـ ذاهبة إلى التحسن بإذن الله .. دعواتك

***

وضعت نادية علي مولودها الثاني وكما قيل لها من أخصائية العيادة النسائية أنها تحمل ذكرا وصدق التنبؤ وسموه عبد الله وغمرهم الفرح والسعادة كما حصل عند ولادة قمر وتلقت الأسرة التهاني والهدايا ، وسافر لبيب مع هشام لأداء عبادة العمرة مع بعثة من جامعتهما التي يعملان فيها الأول رئيسا لقسم الصيانة والثاني مدرسا في كلية العلوم الشرعية وكان ذلك بعد الولادة بأسبوع .

فقالت ريناد : أنا اسمع عن فلان راح عمرة فلان راح حج ما يعني ذلك ؟

ضحكت نادية وقالت بحزن : لم نكن نفهم ذلك حياة أبي وعمي فلانة راحت رحلة حج لمكة والمدينة ماذا يفعلون ؟ كنت أفكرها مثل ما كنا نروح لمصر أو حلب وباريس والبندقية في إيطاليا

ـ ماذا يفعلون هناك ؟

ـ عبادة من الإسلام ولها أفعال معينة ..كنت سأرافقهم لولا حملي بعبد الله ثم الولادة فهم يسمحون بمرافقة زوجاتهم أو أمهاتهم أو بناتهم رحلات دراسية وشبه عائلية .. قبل ما أتزوج لبيبا ذهب للعمرة .. فهي ليست أول مرة ..الجامعة خاصة كلية العلوم الشرعية التي يدرس

فيها الدكتور هشام كل عام في عطلة ما بين الفصلين تنظم رحلة عبادة للطواف حول الكعبة وزيارة قبر الرسول ﷺ هي أعمال معينة ومخصوصة شرحها لي لبيب عسى بعد حين افعلها .. فهناك مجال للسفر لمكة بالطائرة عن طريق مدينة جدة القريبة من مكة لا يكفي الحديث كلاما مثل الصلاة

ـ كلما افكر وأتأمل اكتشف أننا لا نعرف شيئا في الإسلام ..تعلمتي الصوم

ـ منذ أسلمت يا أمي تعلمته وأصومه ؛ بل اخرج قسما من مالي زكاة تعطى للفقراء والجمعيات

ـ سمعت عنها من خالك راضي

دهشت نادية وقالت : خالي يزكي أول مرة اسمع .. هو يصلي

ـ خالك يصلي من زمان وكذلك والدي ولكنه ليس مثل زوجك وابن عمتك حتى كل أبناء عمتك وليس له لحية كالشيوخ

ـ والله لا اعرف لماذا لا تصلين أنت يا أمي ؟

ـ لم أتعلم

ابتسمت وقالت : ونحن مثلك لم نولد متعلمين على كبر عرفنا الصلاة والصيام والزكاة وهذا من الدين وهذا من العادات كان مثلنا نساء لندن وباريس في اللبس والعطر والمعارض ..كانت حياة تافهة ونظنها هي الحياة المهم كيف نقضي على الفراغ

ـ أنا افكر أن افعل مثلك لكنني متهيبة

ـ متهيبة من من ؟

ـ من الناس

ـ وهل سيحاسب عنك الناس يوم القيامة؛ منذ اهتديت وأنا انصح فيك وأنت تقولين لا احب أن اسمع كلام الدين ولا أحب الشيوخ

بينت وأضافت فقالت : من اجل اللبس الشرعي والشراب ها أنا تركت العري والشراب والدخان

ـ أنت اشجع مني يا نادية .. هناك مشروع

ـ مشروع ما هو المشروع الجديد ؟

ـ سأسجل هذه العمارة التي اسكن فيها باسمك

ـ باسمي أنا لماذا ؟

قصت عليها قصة المال الذي ورثته عن أبيها والذي سوف ترثه فقالت : ستمنحين عمارا وكمالا كل واحدة منهما فيلا هذا كان لدى جدة ثروة كبيرة

ـ الله تفضل عليه بالكثير ، ولم يخلف إلا نحن الثلاثة وأنت تعلمين هبته لي هذه العمارة لاسكن فيها وأوجر شققها الستة لنفسي إيجاراتها لي وحدي

ـ ستهبيها لي ولن يغضب أخوك وابناك

ـ لماذا يغضبون ؟ فأخي يعلم أنها باسمي هدية من أبي وإخوتك سيأخذ كل واحدة فيلا لم يكن يحلم بها ..وقد أخبرتهم بذلك.. وهم يبحثون كل عن فيلاته

ـ اذا تملكوا تلك الفلل سأقبل هبتك يا أمي وفي أي وقت تحتاجينها سأعيدها أنا الحمد لله أموالي كافيتني لا اصرف منها على البيت إلا القليل .. فدخل المهندس يكفينا واغلب أموالي انفقها في الإحسان وادخر بعضها .. وعمره لبيب ما طلب مني قرشا أنا أساهم في البيت من نفسي واذا احتجت قطعة أثاث هو يشتريها .. مرات اشتري أشياء بدون علمه المسبق فيسكت

ـ زوجك كريم وطيب وفاضل ويحترمني وأديب معي

ـ هذا من فضل ربي .. وها هو الدكتور شاهد صاحبي القديم يصارع من اجل الخلفة وتزوج على امرأته وسمعت من سلوى بأنه يفكر بتطليق شقيقة زوج أخته لعلها تلد من غيره

***

نشرت بعض الصحف في المدينة عن استلام الدكتور شاهد إدارة شركة الدواء التي أسستها الأسرة وانه ترك عمله في المستشفيات والعيادات الخاصة وأحال والده نفسه على الاستيداع والتقاعد الاختياري ، وكان يتابع الإشراف عن بعد حتى يتمكن الشاب من إدارة الشركة

وغيرها من أعمال الوالد والتعرف على السوق الدوائي وأسراره ، وحاول جلب صديق العمر وليد وزوجته للعمل الإداري في المصنع ولكنهما اعتذرا وانهما يمارسان عملهما براحة ، وكان وليد تلك الأيام يستعد للزواج من امرأة ثانية بضغط من سلوى التي يئست من الحمل كما بدا فكان وليد زائرا لشاهد وحده فقال : الحياة أقدارها مؤلمة ، وانا حزين من اجل سلوى هل فعلا يا صاحبي سمحت لك بالزواج ؟

ـ نعم ، فعلت عن رغبة منها أحبت أن نفعل مثلك لعل وعسى

ـ أنا غير مرتاح بالزواج الثاني فمنذ تزوجت ولمياء ترفض استقبالي مع اني تزوجت برضاها وموافقتها .. لكنها غيرة النساء وانا افكر بطلاقها ولتجرب نصيبها يبدو لحتى الآن الإعاقة مني أنا وحتى هذه اذا تيقنت من عجزي سأتخلى عنها

ـ أنا خطبت أرملة لديها طفل لم أتزوج مثلك بكرا

ـ أنا فكرت بذلك يا صاحبي خطر ذلك في عقلي ! لكن أمي هي التي اختارتها لاعتقادها أن العوق من لمياء أخت زوج أختي .. فتفكيرك جيد ؛ فاذا لم تنجب فيكون العوق منك واذا ولدت تكون الإعاقة من سلوى

ـ اتفقنا على التخيير لتجرب حظها مع غيري

ـ عالم الزواج والولادة متعب ها هي نادية تلد طفلين

ـ هل تعلم يا صاحبي أن أمها كتبت العمارة التي اهدها إياها والدها كما تقول نادية كتبتها باسم نادية لأنها ورثت عن أبيها ثروة كبيرة ..فأعطت ابنيها كل واحد فيلا وحده وكتبت عمارة الوالد لنادية وهي رحلت إليها وقبل زوجها المهندس لبيب أحمد أن تعيش أمها معهم بصدر رحب

حرك رأسه مؤمنا وقال : الأخبار من سلوى

ـ تعمقت الصداقة بينهما من جديد .. عدنا كأيام الكلية حتى أن سلوى تحاكي نادية باللباس وغطاء الرأس وتتشاجر مع أهلها للأسف من أجل ذلك ؛ كأنهم لا يرضيهم هذا الأمر ولا

يعجبهم مع أنها تعيش عندي فلا يحبون أن تزورهم بتلك الثياب لقد انصهرنا بمحاكاة الغرب إلى هذا الحد يا شاهد

ـ تعودوا التدخل بشؤونها وحتى أنا أعاني من هذا التدخل ..كثير من الأهل يحشرون أنوفهم بحياة أبنائهم وإن تزوجوا .. فأنا كما تعلم أعاني من ذلك وما زلت لكنهم يبقون الأهل ولا متعة للحياة إلا بالأهل والأخلاء

ـ يعني كلنا يعاني ..ما ادري ما الذي يضايق الأهل من عودة الشخص لدينه ويعمل به بعد ضياع وتقليد ؟ ما جنينا شيئا من التقليد والتفرنج ! هل شربنا للخمر تقدم وحضارة ما رأيك ؟ هل جلوسنا في المسرح ساعات تقدم ؟

قال شاهد : الحضارة ليست بالخمر والتعري والسينما والسهرات ؛ لكنها أمور شببنا عليها حسب قانون الآباء والأمهات .. ما ها نحن نصرف أموالا كثيرة على أمراض الكحول والسهر الحضارة التقدم بالصناعات الكبرى .. دولنا لليوم لا تستطيع صناعة طائرة أو قطار .. الحضارة اليوم في اليابان حتى المسرح الذي أشرت إليه تجد تصميمه غربي

قال وليد : كم يدخن الشخص منا ؟ وعندما يمرض من التدخين يكلف النظام الصحي مئات الدولارات ؛ لكننا كما قلت التعود على الأشياء سواء كانت صحية أو غير صحية هو السبب

ـ أنا حابب أن تعمل معي في الشركة وفي صناعة الأدوية

ـ أحببت العمل في الطب ومع الناس .. التعود على هذا

ـ تفتح عيادة خاصة تعمل فيها بعد الدوام

ـ المرضى يترددون على العيادات أول النهار طبعا الغالب

ـ يا صديقي كان المشفى الذي عملت فيه السنة الماضية المرضى فيه كل الوقت

ـ المستشفى يا أخي غير العيادة

***

الفصل الحادي والعشرين

لما انصرف وليد طلب كوب قهوة من فراش المكتب ، وأخذ شاهد يتذكر معرفته الأولى بوليد وسلوى ونادية وكيف تعمقت الصداقة بينهم ؟ كانت معرفته بوليد في كلية الطب كانا في شعبة واحدة وفي السنة الأولى معا ، أتى كل واحد منهما من ثانوية مختلفة ، وكانا من نفس الطبقة الاجتماعية أثرياء بثروة أهليهم ، تعارفا من أول أيام الكلية ، فصارا يتجاوران في القاعة وفي مطعم الكلية وتوافقا في الأفكار ، وكلاهما يبغض التيارات المتصارعة في الكليات المختلفة ، لم يستهويهم التيار الماركسي ولا الإسلامي ولا القومي همهما الشهادة والعمل كطبيب، فزاد تمسكهما ببعض لبغضهما تلك التيارات ، ثم صارا يلتقيان في السينما أو المسارح والمقاهي ويزوران بعضهما في بيوتهما ويشاركان في الرحلات الجامعية سوية ، وتذكر أن طبيبا ترافق معهما اسمه فوزي زكي ثم ملّ منهما عندما تعلق بفتاة زميلة لهما وابتعد عنهما .. واستمرت صداقتهما طوال سنوات الدراسة ثم بعد الدراسة ، ثم تذكر كيف تعرف على سلوى ؟ وكان ذلك في مطلع السنة الخامسة للكلية التحقت هي ونادية في الكلية كان صاحبه وليد يعرف سلوى منذ جاءت الكلية فهما من نفس العائلة تقريبا وبينهما قرابة ، فوجد نفسه يتعرف عليها بحكم علاقته بوليد ، وتعرف على نادية في نفس الفترة كصديقة سلوى ،فكلتاهما أتت من ثانوية واحدة ثم بعد شهور تعلق وليد بسلوى كحبيب ورحبت سلوى بذلك واصبح الشاب واعدا بأن يكون زوج المستقبل ، وهو تأثر بصديقه واخذ يفكر بنادية كصديقة وحبيبة ثم تعلق بها وهي رحبت يذلك وتقبلته ولتشجيع سلوى لها بذلك ، واتفقا على الزواج بعد تخرجها مثل صديقيهما وليد وسلوى .. واستمر الحب ولما تخرجت ولما أراد أن يقدم على الزواج ظهرت عقبة الزواج من شرف ابن عمها ..لا هو تزوجها ، ولا ابن عمها تزوجها كانت من نصيب من يسمى بلبيب احمد .

***

عاد شرف لأرض الوطن بعد غياب ما يقارب اربع سنين ، هو رجع عند مرض أمه وشهد

موتها ودفنها وتلقى التعازي فيها مع الأسرة ، ثم رجع لعمله في كندا ، ولم يسع لأخذ جنسية كندية مع أنهم يمنحون الجنسية للغريب بعد ثلاث سنوات ، ولم يسع للزواج من كندية أو متجنسة ؛ إنما كان مهاجرا هاربا من طليقته ، والأصح من شقيقها المزعج ، ولما رجع باشر أعماله التي سلمها لإخوانه وأخواته الذين يعملون في الصناعة والتجارة والإدارة

لما استقر في المدينة عاد لإدارة شركة المال والاستثمار التي ترعرع في ثناياها وهي التي عهد بها لإخوته وخلال شهور سيطر على الوضع ، وعاد اسمه يظهر في السوق فهو ابن وزير سابق فلم يكن بحاجة للدعاية والتشهير، واعلن ونشر في الصحف عن عودته لإدارة الاستثمارات بنفسه وكان يفكر ويخطط لإنشاء بنك تجاري للاستفادة من استثماراته المالية في كندا حيث عمل في احد البنوك فترة ، ونشط هناك بتجارة السيارات الكندية وإرسالها للبلد ، وذات نهار أدخلت عليه سكرتيرة مكتبه الجديد طليقته غالية فقالت بعد التحية : جئت اسلم عليك وأبارك لك العودة

فرحب بها وقال : أهلا ماذا تشربين ؟

ـ لم تطردني

قال وهو يشعل سيجارة لها ولنفسه : ولماذا أطردك ؟ ما أخبار أخيك الشرس ؟

ـ في السجن

قال معلقا : هذا مكانه المناسب ماذا فعل ؟

ـ صراعات شخصية ومعارك مع ضريبة الأمواس

ـ ما أخبار حماتي السابقة ؟

ـ مريضة جدا قد تموت

ضحك وقال : أصابني الحزن سلامتها .. ماذا تفعلين هذه الأيام ؟

ـ لا شيء ابحث عن زوج ؟

ـ وزوجك اعتقد أن اسمه بهجت .. أنا لما ماتت أمي علمت أنك تزوجت .. ألم تقولي لي عندما

جئت تعزين مثل بنات العائلات قلتي تزوجت بهجت

ـ طلقته كما طلقتني

قال ضاحكا : أنت اليوم بدون ذكر

ـ وبدون عمل من شهور .. هل اجد لديك عملا ؟

قال مقدما عرضا : جيد.. أتعشين معي بدون زواج؟ كنت هناك أعيش بدون زواج ..

ـ والناس

ـ هكذا كنت في كندا ..وهذا سائغ عندهم

ـ هذا هناك .. كلام الناس هنا بالنسبة لي مزعج

قال : اشربي القهوة سأفكر في أمرك .. لي ذكريات جميلة معك قبل زواجنا

ـ أنا فعلا راغبة بالعمل معك .. كنت احسن مدير لي

ضحك وقال : واحسن عشيق لا تنسي ذلك .. لولا تركك لموانع الحمل لاستمرت الحياة الحلوة بيننا

ـ كلام الناس يجرح يا شرف

قال : لعلي أنسى عنف أخيك .. لقد بهدلني

ـ كنت ضائعة بينه وبين أمي .. وعمل حاله حارسي الأمين

ـ سأدعوك للسهر معي في النادي والجمعية الخاصة ؛ ولعل أيام الهوى تعود

الفصل الثاني والعشرين

سبق وذكر أن ريناد قدمت لأولادها على اثر وفاة أبيها من سنوات مضت وأعطيت بعض الإرث هدايا ثمينة لابنيها ، وأن نادية قبلت عمارة من طابق ارضي وست شقق فوقه وسكنوا مع الأم في الطابق الأرضي الكبير لتأكل وتشرب وتعيش معهم ولتأنس بهم ، ثم رأت ريناد بعد التجربة أن ذلك غير مناسب فأخذت شقة وحدها بسبب كثرة زيارات أحفادها من عمار وكمال وأبناء اخوها راضي ، وبين لها لبيب انه لا يضيق بذلك وان اكثر وقته في العمل ؛ ولكنها

اختصرت وقالت مبينة بكل صراحة : كثرت زيارتهم يا أبا عبد الله ؛ لأنني املك ميراثا ..
فالكل يرغب بالتسول ..كان عمار في الشهر أو الشهرين يزورني ببدنه مرة ومثله كمال حياة
والدهم علي لأنني مطلقة ولما مات لم يتحسن الوضع كثيرا يا ابني كنت وهذه ـ تشير لابنتها ـ
اكثر ترددا عليّ منهم ولما سمعوا بالميراث زادت زيارتهم ونسائهم أخذن يكثرن من التردد عليّ
كنت أراهن فقط عند المرض والأزمات أبناء أختي وأخي كانوا اكثر همة نحوي منهم
والأقارب كما تعلم نادية في المناسبات

قالت نادية : أنا لا أضيق منهم يا أمي ! فهم أهلي وزوجي لبيب يرحب بهم ولا يضيق بترددهم
عليك صيفا شتاء

قالت بصدق : حقيقة السيد لبيب رجل لم أكن يخيل لي أن في الدنيا رجلا مثله ؛ ولكن الضيوف
والأطفال مزعجين .. لعب تخريب عبث .. وأنا ما زلت بينكم والعمارة كبيرة .. ولم أكن احلم
بحنان وود منك يا نادية لموقفي معك كما تذكرين من الزواج من شرف الذي رجع للبلاد ؛
ولكني كنت مرغمة على التأييد والصمت ولا يدري أحيانا الشخص أين يكمن الخير يا ولدي
يا لبيب ؟

قال لبيب : صحيح .. نحن يهمنا في المقام الأول .. راحتك وحريتك وأنا قبلت الرحيل من
أجلك ؛ كما قلت لنادية قلت لها أمك كبيرة في السن هذه الأيام وتحتاج إلى رعاية وعناية وأنس
فاذا قربنا منها نحن في ذلك الخير .. لا سمح مرضت أو عرض لك عارض فنحن بقربك

ـ قالت لي نادية فضلك ..وانا أحببتك يا لبيب .. ولم انظر إليك كعدو وخصم رغم زواجكما
الغريب حتى رأيت ابنتي نادية غير التي تربت بيننا .. صدق اني احترمك اكثر من ولديّ وهذا
الكلام قلته لهذه البنت .

ـ شكر لك يا عمتي الفاضلة إن شاء الله ستذهبين معنا إلى الحج كما قالت لي نادية

ـ نعم قررت أن احج معكم وأسعد بصحبتكم ..يبدو أن احدهم يقرع جرس الشقة

رافقتها نادية للشقة اعلى شقتها الأرضية فالعمارة فيها شقة كنظام الفيلا وفوقها ثلاثة طوابق

كل طابق شقتين فوجدت كمال وزوجته وأولاده فسلمت عليهم فدعاهم للسهر معهم فقالت : لبيب ينتظر أخته أم محمد

***

زوجة وليد وضعت طفلا ففرحت سلوى به كثيرا كأنه طفلها ، ربما أكثر من أبيه ، وبعد الاحتفاء به بأسبوع اتفقت مع وليد على تحقيق الطلاق لتر قدرها مع الحمل ، ورفض في البداية وأصر على الرفض وهي بدورها أصرت على الطلاق وذكرته باتفاقهم قبل زواجه عليها ، وتنازل لها عنه حصته في الشقة وبعد ممانعة وتدخل صديقهم شاهد قبلت حصة وليد الذي استأجر شقة ورحل إليها ولم يكن سعيدا بالبعد عنها ، وسعت أسيل شقيقتها للعيش معها فقالت لها : أنت لك زوج ولا احب أن يثار حولنا قيل وقال وزوجك لا ارتاح له ولشيوعيته والحاده .. فأنا اليوم فتاة بدأت بالتدين وتهمها سمعتها وسأتزوج بإذن الله

وزعلت أسيل منها وتضايقت من ردها المؤلم فقالت : ألستم تفتخرون بإلحادكم دون حياء أمام الناس ؟

اعترفت قائلة : قد اطلق جميلا

ـ يا سيدتي لما تطلقين جميلك قد اسمح لك بالعيش هنا لحين ..فأنا سأتدين مثل أختي نادية لقد صرت دكتورة ولديّ مال وزوج حبيب وفي النهاية تركنا بعضنا .. ها هي الدنيا لماذا لا نكسب الآخرة ؟.. آه ! اذكر لما تمشيخت أيام الثانوية .. أتذكرين تلك الأيام ؟

قالت بحزن ندم بدا لسلوى : ما زلت تذكرينها ! كل العيلة قامت ضدي حتى أنت الطفلة حينئذ .. ولما كفرت الكل رحب بي واحتفلتم بعودتي لتقاليدكم ..لم يشد على يديّ أحد ؛ بل هددت من والديك بعدم تدريسي في الجامعة إن أصررت على الحشمة .. ظننت يومها كأنني ارتكبت جريمة في حق الأسرة .

ـ الجهل المركب يا أسيل ! الجهل بالإسلام والتدين لماذا لا تعودين للتدين ؟ كان وما زال التبرج دينا عند أمك وأقاربك .

قالت بنفس الشعور : أنا احن لتلك الذكريات ولم أنس معلمتي التي شجعتني على التدين والصلاة المعلمة أمل حمودة .. إنها ميتة كما أخبرتني بعض زميلات الثانوية .. لكن زواجي من جميل أنساني تلك المرحلة .. وصدقت كل ما يقولونه عن الاشتراكية وإنكار البعث والآخرة والحياة بعد الموت ..في الستينات كان صوت الإسلام ضعيفا في البلاد وكنا نرى كل من يذهب لدراسة الشريعة مغفلا ورجعيا .. شعارات رنانة حمقاء

ـ كثير من الشباب غرر بهم بالشعارات البراقة ها هي شيوعيتكم تترنح

قالت : لمست ذلك في بولندا وأوروبا الشرقية ولمسنا ضعف الإنتاج في المصانع والكسل والعجز في تحقيقات حاجات الناس .. القوة العسكرية السوفيتية غطت على تلك العيوب

ـ أنا خلاص حسمت امري سأتزود بالدين وأرجوك لا تفكري بالعيش معي وربما أتزوج قريبا

ـ تتزوجين ولماذا تطلقت ؟!

قصت عليها اتفاقها مع وليد عندما شجعته على الزواج عليها فصاحت باستغراب : أنت التي زوجتيه من اجل الأطفال !

ـ كان يحن للأطفال .. وهذه طبيعة الناس .. وألمس حسرته عندما نزور أسرة فيها أطفال

قالت أسيل : نحن فكرنا بذلك ، ولكن جميلا يقول لماذا هذا الهم ؟ وأنا لست متحمسا لذلك أو ضعفت الرغبة فيّ الأمومة .. أنت تفكرين بالزواج بجد فعلا

ـ نعم هذا اتفاق شفوي كان بيني وبين وليد اذا انجب من زوجته فعلينا أن ننفصل وابحث لي عن زوج آخر .. ونادية صديقة العمر قالت لما يحدث الانفصال بعد ولادة زوجة وليد سأحدث لبيبا وها هو حدث الطلاق

ـ ولماذا تأخرت حتى تلد ضرتك ؟!

ـ وليد لم يكن يحب الانفصال عني فصاحبه شاهد لديه امرأتان ولذلك تشجع على الزواج عليّ

***

ولما انتهت العدة الشرعية لسلوى أخذت تتهيأ للزواج من صديق للبيب كضرة ، وقبلت ذلك

ولم تر ذلك عيبا ؛ لأن الهدف العفة والخلفة ، وقبل محمود صديق لبيب الحياة معها في شقتها ، ولم تكد تمضي السنة على الطلاق حتى كانت زوجة لمحمود من جديد ، وحاول أهلها رفض زواجها ولكنها قالت : لم اعد طفلة يا أمي أطيع كل شيء ..وأنا احلم كأي امرأة أن ألد ومحمود لديه ست أطفال .. وهو صديق معروف للبيب وقبلت زوجته بأن يتزوج عليها وناقشت معها الأمر بروح طيبة والمسألة .. فلم تعترض لا هي ولا أهلها

ولم يمض شهور على زواجها الجديد حتى شعرت بالحمل مما ادهش وليد وشاهد وأهلها رغم اعتراضهم التقليدي غمرتهم الأفراح والسعادة ، وهي كانت افرح واسعد الجميع ، وشكرت الرب تعالى ، وفرحت لها نادية فرحا كبيرا ، ومنحت الطفل هدية كبيرة حتى أن أم نادية غمرها الفرح ونقطت الطفل ٥٠٠ دولارا كما فعلت نادية وزادت عليها نادية بقطعة من الذهب

وأصبحت سلوى أكبر من أخت لنادية وتشترك معها في حملات الطب والتبرعات في الجمعيات الخيرية الإسلامية وغير الإسلامية

الفصل الثالث والعشرين

وعاش شرف وغالية حياة بهيمية منذ عادت لصحبته كما كان يعيش مع فتيات مونتريال الكندية ، وبعد سنتين قرر أن يتزوجها خاصة بعد وفاة أمها ، وحذرها من الاتصال بشقيقها وأنه سيكون سبب الانفصال من جديد ، وأصبحت زوجة شرعية ورفض أي تفكير بالحمل والعلاج ، ونفذت تعليماته برفضها استقبال عاصم في بيتها ، وبينت له أنها ستطلق ثانية اذا عاد لزيارتها ، وقدمت له مساعدة مالية برضا شرف ، وأخذ يتكرر هذا الفعل منه مما ازعج غالية نفسها ، وأخذت تفكر بطريقة تخلص بها منه ، وقرر شرف ليخلص من مضايقاته وتسوله من أخته أن يجد له عملا في احد مصانع العائلة ، فكان أن عمل سائقا في شركة ومصنع لشقيقه محمد منصور سائق سيارة توزيع بضاعة ينتجها المصنع ، وهدأت الأحوال إلى حين من الزمن وحذره مدير التوزيع من القيادة أثناء التعاطي أو تناول الخمر ، فكانت وظيفته نقل مواد مصنعة لمحلات تجارية تتلقى البضاعة من مصانع الشركة ، ظن شرف وغالية أنهما تخلصا من

مضايقات عاصم الوحش كما يسميه شرف .

***

تلقت نادية علي اتصالا من أمها تخبرها بوفاة جدها والد أبيها علي ، واتصلت بعمتها فاطمة تعزيها بوفاة والدها ، وأخبرت بدورها لبيب لحبه المشاركة في الواجبات الاجتماعية وانه جد صديقه هشام منذر ، واخبرها أن هشاما اتصل به مخبرا بوفاة جده عرفة علاء الدين وكان على وشك الاتصال بها لتخبر أمها ؛ لأن الوفاة حصلت أثناء وجودها في العيادة الخاصة بها .

ومشت ريناد ونادية ولبيب ورافقتهم سلوى إلى بيت الجد ، وعزوا الحاجة فاطمة وأبنائها وعزى الأخوة والأولاد العم والعمة بعضهم بعضا ، وبعد وفاة الجد بقليل اقترب موسم الحج لهذه السنة ، وسافرت ريناد معهم كما اتفقت مع نادية ولبيب وسافرت معهم أم لبيب وابنتها شقيقة لبيب الدكتورة المختصة بجراحة الأسنان الدكتورة زينة احمد التي وعدت السيدة ريناد بمتابعة أسنانها لأنها أول مرة تقابلها بعد زواج نادية ولبيب فكانت قد عادت من الخليج منذ اشهر ورغبت بمرافقة أمها أثناء القيام بأعمال الحج الشاقة ، ولما وصلوا جدة نقلتهم شركة الحج إلى فنادق مكة لأداء العمرة والتحلل منها للاستعداد للانتقال لجبال منى ثم جبل عرفات أهم أركان الحج ؛لأن الحج عرفة ، وقضوا أسبوعين في رحاب مشاعر الحج ثم انتقلوا للمدينة المنورة وزيارة المسجد النبوي والقبر النبوي ومكثوا ثلاثة ليال أخرى ثم عادوا لجدة ثم العودة للديار وحضر المهنئون للتبريك والتهنئة ورؤية الحاجة ريناد وكان هذا آخر شيء يتوقعونه منها فهي قضت حياتها بين التدريس في كلية الاقتصاد وإدارة الأعمال والجمعيات النسوية التي تحارب الإسلام كمنظم للحياة

***

أثناء فترة الحج طلق شاهد امرأته الأولى لمياء بعد سنوات من الزواج وكانت قد رفضت الرحيل للمدينة والعيش كزوجة ثانية في نفس الفيلا ، وصبرت تلك السنوات زوجة ولا زوجة ولم يكد يخلص منها حتى فاجأته زوجته الثانية برغبتها بالطلاق والانفصال وبدأت المشاكل

والمناقشات بينهما ، وسعت أمه وأمها لتهدئة الوضع بينهما ، فيسلكان أياما ثم تعود الرغبة بتركه وأنها لم تعد تطيق البقاء على ذمته ، واتصل به خبر قيام نادية وسلوى وزوجاهما بإنشاء مستشفى خاص بمعالجة الأطفال وبارك لهما الخطوة لأنه ما زال يتواصل مع سلوى ووليد وتعاقد معهم بتوريد أدوية تصنعها الشركة للمستشفى، وقبلت نادية العقد بدون أي تواصل معه ؛ إنما تم العقد بواسطة وليد الذي ما زال على تواصل مع سلوى بحكم القرابة وتقبل زوجها محمود الأمر ، واعتبر ذلك شغلا وكذلك لبيب ، وقد طلقها الدكتور وليد كما هو معروف برضاها ؛ ليس نتيجة مشاكل ونزاع إنما من اجل أن تجرب حظها بالحمل ، وكلاهما انجب بقدر الله تعالى .

***

وتعرض شاهد قبل حسم علاقته بزوجته الثانية فايزة إلى قضية بدت غريبة لمعارفه وأهله ، لما عاد مغربا للبيت وجد زوجته ميتة ، وتبين له أنها تعرضت للخنق والإيذاء فاتصل بالشرطة مبلغا عن الأمر ، وحضرت فرقة التحقيق الجنائي والطب الشرعي وبعد الإجراءات المعتادة والتصوير نقلت الجثة للمشرحة ، واقتيد شاهد للتوقيف على ذمة التحقيق والاشتباه به بخنق زوجته بيديه كما تبين للطبيب الشرعي أن عملية الخنق تمت بضغط الكفين على العنق ، وانتشر الخبر أن طبيبا خنق زوجته حتى الموت ومع التحقيق البوليسي كشف رجال الشرطة بواسطة شهود أن القاتل لم يكن شاهد ، فقد تبين أن لها عشيقا يتردد عليها ، ولم قبض عليه اعترف بنزاع بينهما دفعه للضغط على عنقها من الغضب ، فماتت ولم يحاول إسعافها خشية الفضيحة ، ولكن الفضيحة حصلت مم صدم شاهد والأسرة أسرة شاهد وأسرة الفتاة

***

لقد كان حادث زوجة شاهد مأساة وكارثة على مستوى العائلة وعلى مستوى شاهد نفسه أن يظهر أنه يعاشر زوجة خائنة ،قال وليد لشاهد مواسيا : هل صحيحة قصة العشيق ؟
قال بغضب وبكاء : هل قصرت معها لتخونني وتفضحني ؟ وأنا كنت سأطلقها في الفترة

الأخيرة وأهيئ نفسي لذلك الخطب.. قلت انتظر بعض الوقت .. تخيل لو عشرت الملعونة من ذلك الخائن كيف سأعرف انه ليس مني ذلك المخلوق ؟

ـ من هو هذا العشيق ؟ هل التقيت به ؟

فكر قليلا وقال : لا اعرفه يا وليد .. ولم يصدف أن رأيته .. يبدو انه عامل شوارع .. ويبدوانه عامل غريب .. يبدو من أقوال الشرطة أنه دخل المكان لعمل صيانة في الشارع وطلب شربة ماء أو كأس شاي ثم تطور الأمر إلى علاقة غير شرعية واعتقد أن ذلك منذ عهد ليس بالبعيد ربما منذ بدأت تطلب الطلاق

ـ ولماذا خنقها ؟

قال مبررا : كأنه كان يأخذ منها مالا يبتزها فرفضت فخنقها مخوفا فلم تحتمل يديه فاغمي عليها وهرب فماتت مخنوقة

ـ هذا مجنون

ـ وهي مجنونة ساقطة ليتني لبيت طلب الطلاق فور طلبته .. تباطأت كما حصل مع لمياء ظلت سنوات قبل الانفصال الرسمي .. على كل حال أنا لما تزوجتها كان الأمر باختيار أمي .. سألت احدهم عنها قال لي : هذه لا تصلح للزواج يومها لم افهم عليه

ـ ما قصده لا تصلح للزواج

ـ قصده يا سيدي أنها تصاحب ، ولم تكن نظيفة وتجاهلت النصيحة ؛ لأنني كنت في حالة تجربة عن أم .. امرأة تلد بغض النظر من تكون ؟

ـ كل البنات تصاحب في فترة معينة من المراهقة .. فهذه ظاهرة شائعة .. خاصة في أحيائنا

ـ اليوم يبدو من فهم كلامه أن لها علاقات قبيحة .. وأنا كغيري في شغلي ولما أعود أراها بهيئة عروس لباس عطر ولا تنسى لهفتي على الحمل .. ثم تباطأت بعد حين عن المعاشرة الزوجية فصارت تتطلع للزنا

الفصل الرابع والعشرين

بدأنا القصة بمشهد كمقدمة بلعب شرف ذات ليلة عن زوجته قمارا وخسرها في نادي القمار والملهى الليلي الخاص به وتنازل عنها الرابح مورا بعد أن خسّره إياها واعتبر الأمر مزحا وقال له : اذهب واعمل فتوى قد تكون طلقت

واخبرها شرف في صباح اليوم التالي عما فعله في بيت القمار وقالت : تلعب عن امرأتك وهل يسمح القانون بذلك ؟

قال : القانون أصلا ـ وقد تناول منها كوبا كبيرا من القهوة التي بدون سكر ـ لا يسمح بلعب القمار .. ولا ادري هل أنت طالق أم لا سأذهب لشيخ وأساله عن وضعنا ؟ هذا سبب الاعتراف .

قالت ساخرة وهي ترشف القهوة مع سيجارة كوبية مما يستخدمه شرف منذ عاد من كندا ويسمى " السيجارالكوبي " " واذا قال لك انني مطلقة

ـ سأطلقك أو نعمل فتوى أخرى تسمى إرجاع الزوجة

ضحكت أكثر وقالت : هذا أنت شيخ بجد لعلك انعديت من الشيخة نادية

ضحك وتناول سيجارة عادية وقال : لست شيخا .. نسمع من الناس فقط

ـ يا لك من نذل ! لو قبل الرجل بأخذي هل ستدفعني إليه ؟

ـ قلت له ليلتها ما رأيك أن العب عن غالية زوجتي فقال واذا خسرتها ستعطيني إياها قلت آ .. كنت في غاية السكر يا هلبوبة لو لم يتنازل عنك كنت سأدفع مالا وأفتديك نريد أن نصحح الوضع

ـ يا لك من احمق !

ـ الخمر ملعونة

قالت : أنت ملعون أين ستذهب لأخذ فتوى ؟

ـ فكرت بالدكتور القريب لي هشام ، ولكن اخشى أن يشيع الخبر في العائلة أن شرفا قامر

بزوجته .. فصاحبي بوري له معرفة بشيخ يبيع فتاوي

قالت دهشة : هي الفتاوى تباع

ـ يعني حسب الزبون فيلفف له فتوى مقابل كم دولار

هتفت : أنا الحمقاء أقول عنه شيخ نصاب دجال

فقال : ولما يذهب الناس لدار الإفتاء يا حمقاء يأخذوا منهم مالا بصور ألطف باسم معاملات وضريبة .. هذا الشيخ بأخذها بدون إجراءات وبروتكولات

ـ متى ستذهب يا مقامر ؟

ـ أنت الآن في إجازة عاطفية حتى أرى هذا الشيخ البياع

قالت بهيئة جدية : اسمع يا شرف

ـ ماذا سأسمع على الصبح ؟

ـ كنت امس عند الطبيبة سامية مروان

ـ طبيبة ماذا ؟

ـ طبيبة نسوان وطلبت مني فحوص وتحاليل

ـ ما بك ؟

ـ ألم تذكر من فترة قلت لك أعاني من مغص دائم في بطني مغص حاد وكل صباح يتكرر فقلت اذهب للدكتورة سامية كما أشير عليّ

ـ وما القصد من تلك الفحوص ؟

ـ تشك انني أعاني من مشاكل في المعدة

ـ سلامتك اعملي الفحوص ..وأنا سأهتم بالفتوى .. الحلال مطلوب

***

دخل شرف وبوري مساء منزل الشيخ جنيدي ورحب بهم افضل ترحيب وسمع القصة من بوري ومن شرف فضحك كثيرا وقال : وهل تلعبون عن الزوجات في تلك الأماكن ؟

ـ السكر والغضب والتحدي

ـ نعم أم الخبائث هي السبب وهل أنت جاد بطلب فتوى ؟

قال شرف وهو يبحلق في وجهه : نعم جاد ؛ لأنني أنا الذي قامرته وربحها وقال سامحتك فيها بس انظر رجل دين يفتيك لعلها تطلق باللعب عنها ؟؟ وانا يهمني الحلال والحرام في مسائل الطلاق

ضحك الشيخ وقال : رائع ! تسكر وتلعب الميسر وتهتم بالحلال والحرام يا شيخ شرف

قال بوري : هذا شيء وهذا شيء يا شيخ ! ما عندك من العلم في هذه الفتوى وكم تكلف الفتوى؟ كم دولار ؟

ضحك الشيخ وقال : لا تكلف شيئا .. فالمرأة حرة ليست أمه كما كان بعض الناس قبل قرون ولا يقع أي طلاق باللعب عنها افرض أن الرابح قبلها .. هل تذهب معه بأي صفة زوجة ولا بصفة مومس ؟ يا ابني لا يقع الطلاق .. واللعب عنها ليس بطلاق .. فصاحبك احمق وانتم حمقى مثله

ـ هذا ما هو بطلاق ؟

ـ الطلاق هو أن تتلفظ بالطلاق لو قلت امرأتي طالق إن فزت عليّ ؛ ربما يكون هناك طلاق يا شرف إن عملت كذا وعملته المرأة تطلق .. قد يقع مع السلامة

قال بوري : تحتاج لأجرة

ـ يا ابني هذه ليست فتوى هذا لغو ولهو

قال شرف : لا يترتب عليّ شيئا

ـ مع السلامة

***

تبين أن سبب آلام البطن لدى غالية أنها تعاني من أورام سرطانية في المعدة وتحتاج إلى علاج مستشفى ، وقد تخضع لعلاجات كيمائية بعد التشخيص الدقيق ، فذهب بها شرف لمستشفى

يتعامل معه للقيام بالفحوص وتوجيهها للمستشفيات المناسبة لعلاج السرطان إن ثبت ذلك .

انزعج شرف لهذه الأنباء ولكنها في النهاية امرأته على كل حال ولا يستطيع التخلي عنها أمام هذا المرض الخطير .

الفصل الخامس والعشرين

دخلت شقيقة سلوى المهندسة أسيل مستشفى أطفال سلوى ونادية ، ولما خرجت سلوى من غرفة استقبال الأطفال المرضى وجدت أختها بانتظارها فعانقتها كما اعتادتا وقالت : كيف العمل ؟

ـ جيد ! رأيت نادية .

ـ لم أرها خرجت للطابق الأعلى كما تقول موظفة السجل التي اسمها سهيلة

ساقتها لمكتبها في المستشفى الخاص بها وبنادية ، وطلبت لها كوبا من القهوة من خادمة قسم الإدارة ورحبت بها وقالت : ما الأمر لأراك عندنا.. لي شهر أو أقل قليلا لم أراك شخصيا.. كله بالهاتف ؟

ـ مررت على بيت أمي وأبي ، ووجدتها مريضة ؛ ربما تنقل للمستشفى كما يقول الوالد

قالت سلوى باستغراب من الخبر : الصبح صبحت عليهم كالعادة ولم تخبرني بشيء ولا والدي لقد تعودت أن اصبح عليهما وانا مغادرة للعمل .

ـ لعلهم لم يرغبوا بإزعاجك على الصبح والله أعلم

ـ ممكن والأمر الآخر !

ضحكت أسيل وقالت : قد احتاج لقرض صغير منك بدلا من البنك

ـ قرض صغير .. كم هو القرض الصغير ؟ ولماذا ؟

ـ أنت تعلمين أن زوجي البطل له شهور لا يعمل واضطرت أن ادفع إيجار الشقة واصرف على البيت

قالت بابتسام ساخر : الروح الاشتراكية ، طيب كم هو القرض الصغير؟

ـ ألف دولار فقط .. واذا لم أسد أو يسدها خلال شهرين بالكثير أو ثلاث سأعلن الانفصال يا أم حسان .

ـ حسنا ! اليوم ليلا مري على البيت وخذيها .. فأنا لا احمل هذا المبلغ

ـ أكيد ! بعد صلاة المغرب مقبول يعني محمودا زوجك شاهدا

ـ حتى ولو لم يكن موجودا سيعلم .. فلا اخفي عليه .. هو زوجي ووالد أطفالي .. المغرب ذلك مقبول ..سأمر على أمي قبل العودة للبيت وسأتحدث معها بالتلفون بعد وقت .. واتصل بمحمود لنذهب معا أو ياتيني هناك

قالت بتذمر بين : لما تراه أمك تزداد مرضا

ـ لماذا ؟

ـ لأنه بلحية .. تكره كل إنسان يربي لحية مثل لحية محمود

ضحكت سلوى : محمود لا يهمه كره أمي .. المهم حبي أنا

ـ تركت حب وليد

ـ هو تزوج وانا تزوجت .. فالإنسان يتغير اذا شاء .. هل نبكي على الأطلال ؟

***

تحدث محمد منصور مع شرف مخبرا بطرد عاصم شقيق زوجته ، واخبره أنه حرامي يختلس من أموال البيع ، وهو خائن ويشكي من سوء معاملته أصحاب المتاجر ، ويظن نفسه اكبر من سائق ويسيء بألفاظه مع فتيات المتاجر ، وأن هذا الأمر يتكرر منذ اشتغل معهم فقال شرف معترفا : اعرف كل هذا الفساد عنه ، وكرهه للشغل المستمر ؛ ويعيش على النصب أنا شغلته معكم من باب الإحسان ، ولا يعرف عملا ثابتا يمل سريعا ، ولأنه يحمل رخصة قيادة سيارة قلنا يشتغل معكم ، وهوكما قلت لك قديما صاحب سوابق وسجون وليبق تحت العيون ؛ فلن يقبله احد بسهولة لسيرته الجميلة وشكرا لتحملك له كل هذه الشهور .. الملعون دائم التسول من غالية هو يعيش في شقة أمه التي ورثتها عن زوجها أبوه وإلا تراه ينام في الشوارع والخرب وتحت

الجسور كالمتشردين

ـ ماذا ستفعل معه ؟

ـ غالية تبين أنها مريضة بالسرطان واذا ماتت انتهيت منها ومنه

ـ سرطان ماذا ؟

ـ كأنه في المعدة وسأتدبر علاجها لوجه الله

ـ الله يشفيها أنا لا ادري كيف رجعت إليها ؟

بين له سبب العودة لفتاة بصفاتها : أنا يا محمد تزوجتها ديكور من اجل الحفلات الخاصة فهم يتحرجون من الأعزب ، ولا ارغب بالمواليد ففي تلك الحفلات الكل يأتي بامرأة ولو تزوجت غيرها ؛ ربما يرغبن بالخلفة والولادة ، وهذه جربت نفسها ، فلم تعد تصلح للحمل ، ولا يغار عليها .. الجديدة تحمل من شخص ثم أتحمله أنا فلسفة قول .. أنت تعلم لا ارغب بذرية.

ـ وفقك الله

الفصل السادس والعشرين

عجز جميل زوج أسيل عن تسديد الألف دولار فوافق على الانفصال بكل هدوء ، وتم بيع الأثاث المملوك لهما ، وسلما الشقة للمالك وسكنت أسيل في بيت العائلة حتى تجد شقة صغيرة تعيش فيها ، ووجدت أن عملها يتيح لها ذلك ، وتعهدت لسلوى بأنها ستسدد القرض مما يتوفر بعد مصاريف البيت الجديد ، فسكتت سلوى وهنأتها على الانفصال ، فهي منذ رجعت من بولندا وهي تصرف على مشروب جميل وهمالته ، فكانت ترى أن الطلاق الأفضل لأختها ؛ لأن هذا لم يكن أول استلاف منذ عادت ، وهي تقترض وتسد لأن والديها رفضوا مساعدتها في أي قرض ؛ بل كانوا يرغبون لها بالانفصال عنه ؛ لأنه منذ تزوجها والهدف مالها من شغلها ، وهي كانت مفتونه به وبشيوعيته ، وعاشا في بلد اشتراكي ومحسوب على الاتحاد السوفيتي

كان من عادة جميل وأسيل التردد على مقهى العمال في قلب المدينة قبل حياتهما في بولندا حتى بعضهم كانوا يسميه المقهى الاشتراكي أو الشيوعي لما كان لهم فيه نشاط قوي عندما ظهر

المقهى ، وغالب المقهى منذ أسس أن يجتمع فيه عمال المهن والحرف اليومية والتصليحات لوجود فرصة عمل ، وهو مقهى مختلط بين الشباب والنساء الثوريات، فكان الزوجان يترددان عليه لمقابلة الأصدقاء في قسم العائلات حيث الجلوس والثرثرة وتعاطي الأراجيل والتمباك ، وكان يمنع شرب الخمور فيه لم تحدثه من نزاعات حادة ، ولا يدخل هذا القسم إلا الأزواج ظاهريا ، وكان لأسيل أصدقاء وصديقات يحملون نفس الفكر يجلسون فيه ويتجادلون حول السوفييت والشيوعية في العالم ؛ ولأنها معروفة لإدارة المقهى فقد سمحوا لها بدخول تلك الصالة .

وكان جميل بعد طلاقه الذي شاع بين المعارف يأتي المقهى رغبة بالعمل ولقاء المعارف ، ذات يوم التقى بشاب في المقهى جاء يسعى للعمل مثله ، ولكنه لا يحمل أي شهادة سوى شهادة سائق سيارة ومشاجرات ، وجمعهم اللهو والشدة التي يتقنها عاصم ، فتطورت العلاقة إلى صداقة ، ووعد جميل الشاب بأنه اذا وجد عملا سيشغله معه ، وكان عاصم يتعجب من رجل يحمل شهادة هندسة صناعية ، ولم يجد مصنعا يعمل به .. وتيسر لجميل العمل في شركة تمديدات كهربائية لفترة مؤقتة كما اتفق مع مقاول تمديدات ، وأخذ معه عاصما مساعدا للإشراف معه على تمديدات الكهرباء لمصنع ناشئ .

وفي تلك الفترة استطاعت أسيل أن ترافق شابا من سنها يعمل محاميا ، وقد تعرض لحادث سيارة يعاني من مشاكل دماغية وأعصاب ، فترك المحاماة وفتح متجرا لبيع قطع السيارات مع أخيه ، ولما تعافى من الحادث ترك هو الآخر زوجته ،ويأتي إلى المقهى للعب والسهر مع أصدقاء يعرفهم من أيام المحاماة أو ساعدهم في قضايا وجنح في المحاكم ، تعرفت أسيل عليه وانسجمت معه ومع أفكاره وسخطه على الحياة ..وتطور الأمر بينهما لفكرة الزواج بينهما .

حدثت أختها سلوى عن الشاب المحامي العليل عادل خميس وحدثتها عن إعجابه بها ، وقد يكون زوجا لها ، فغضبت سلوى من هذا الاختيار ، ورفضت اللقاء به سواء في المستشفى أم البيت وقالت : توجهي يا حلوة إلى أمك وأبيك هما اللذان تُطلب موافقتهما .. رجل تعرفت

عليه في مقهى يصلح زوجا .

فاحتجت قائلة : ما الفرق بين معرفة البار أو النادي الليلي أو حتى في الجامعة .. الناس تلتقي في أماكن كثيرة .. هل تريدين مني اذهب لدور الدعارة ؟

ـ كم شهر لك مطلقة لم تكتمل سنة بعد ؟ فلماذا طلقت جميلا ؟

ـ الشاب ارتاح لي ورغب بي بالحلال كما تقولون .. وجميل لا يحب الشغل ومنذ عدنا وانا اصرف عليه .

ـ كم لك من الزمن تعرفيه؟ تعرفي عليك اكثر

***

كان اكتشاف سرطان غالية متأخرا جدا ، لم تكن تبالي بآلام التي كانت تعاني منذ زواجها الثاني وتلجأ ككثير من الناس إلى المسكنات والأدوية التي تباع من غير وصفة طبيبة وإشارة طبية ، فلما بدأت تأخذ جرعات الكيماوي سقطت ميتة ، وانتهى الأجل فقام شرف باللازم من إجراءات وطقوس الوفاة حسب الدين الإسلامي ، وفتح بيت العزاء فهي زوجته شرعا وقانونا وشارك في العزاء شقيقها عاصم وبعض أقاربهم ، وصاحب ذلك صديق عاصم المحامي العليل وجميل قريب سلوى وأسيل ، وكان عاصم قد تعرف على زوجة جميل أسيل المطلقة والمحامي عادل في مقهى العمال المعروف في قلب المدينة ، وذلك من خلال لعب الورق مع المحامي فعرفه عليها لأنها كانت تجلس بجواره ويفكر بالاقتران بها ، فقال له يوما : هذه كانت زوجة معلمك المهندس جميل ، ثم تحدث جميل عنها ببعض قصته لما استوضح منه القصة ، وكانت أسيل ترغب بترك عملها في ذلك المصنع للعمل في شركة أخرى بمساعدة زوج نادية المهندس لبيب وقبل أن يحدث هذا ماتت شقيقة عاصم وشارك شرفا بالعزاء فعرف شرفا عليها وترجاه أن يشغلها في مصنع شقيقه محمد ، فلما رآها راقت في نفسه فقال لها مرحبا : بعد العزاء مري على مكتبي .وذكر لها العنوان ، وطلب من عاصم أن لا يريه وجهه فالتي كانت تربطه به ماتت .

هكذا دخلت اسيل حياة شرف منصور ، اعجب شرف بحسن أسيل وتوسط لها عند شقيقه

للعمل كمهندسة صيانة تحت التجربة في احد مصانع شقيقه محمد مع غمزة ، ففهم محمد أن شقيقه يرسم عليها كزوجة في المستقبل فقبلها بدون تردد ، فنسيت واسطة زوج نادية ، والمرأة أيضا أعجبت بشرف كزوج بدلا من المحامي ، وسعى عاصم بعد تعريفها على شرف بإقناعها من الزواج من صديقه المحامي الذي غضب من عاصم وجميل ، لما بدأت تبتعد عنهم والسهر مع شرف ، وندم عاصم على ما قدمه لها من خدمة ؛ ولكنها لم تكترث لاعتراضهم على سواد صفحة شرف وكثرة مغامراته النسائية ؛ كما زعم لها وحدثها عن قصة أخته وكيف خدعها واضطر للزواج منها ؟ ولما ناقشت شرفا في سهرة في ناديه الخاص وجمعية رجال الأعمال الخاصة عندما اخذ يدعوها للسهر معه فقال بوضوح : كانت أول الأمر تعمل سكرتيرة في مكتبي وأحببتها كما أحبتني ، وحملت بدون موافقتي لترغمني على الزواج منها ، وكان أبي وعمي يرغبان بكل قوة أن أتزوج ابنة عمي ، وابنة عمي مصرة على رفضي بكل قوة وعناد ، فاضطررت أن أسافر بها لعملية إجهاض في المانيا خشية الفضيحة ، وحين تزوجت ابنة عمي تزوجتها ، ثم طلقتها لمشاكل دارت بيننا ،وهاجرت إلى كندا بضع سنين ، وتزوجت هي بعد الطلاق ولما عدت وجدتها مطلقة ، فتزوجتها لأنني بحاجة لزوجة ، فهذه النوادي لا تسمح بدحول العزاب إلا عند الضرورة ، وتسمح بدخول الأرامل ذكورا أو إناثا لحين على امل أن يتزوجوا بأسرع وقت قبل فصل عضويتهم .. فهي كانت زوجة من اجل دخول مثل هذه الأندية الخاصة وأنا احب جلبك معي لاجتماعات الجمعية وسهرات النادي حتى يعلموا أنني على وشك الزواج ..فأنت بكل صراحة عروس تحت التجربة ومن خبرتي في جنس النساء أنت ترغبين بذلك .. وفي النهاية امر الزواج يعود إليك أنت ووالداك .. لتعرفي واقعي الاجتماعي وتتعرفي عليه قبل الإقدام العملي على الزواج من شرف.. ولتقولي لي أنت خدعتني وجئت بي إلى هذا المكان لأنه قد يحدث فيه سهرات مثيرة بين الأعضاء .. وصاحبك المحامي العليل مغتاظ مني ومنك والمغتاظ اكثر منه شقيق غالية مع أن معرفتك به من أشهر فقط ومن لقاءات المقهى كما فهمت منك ومنه

ـ فعلا أنت خبير في النساء !

ضحك وقال : الحياة تعلم .. سأقطع لك تذكرة لدخول المسبح لترافقيني في السباحة الصباحية .. أتعرفين السباحة ؟

ـ اعرفها وأكثرت منها لما عشت فترة من العمر في بولندا . وقصت عليه حديثا من عيشها في بولندا مع زوجها جميل زوجها الأول

عقب معلقا : كنت شيوعية إذن .. أنا رأسمالي يا أسيل من أعلى رأسي إلى أخمص قدميّ

قهقهت وقالت : أتحول إلى رأسمالية .. المرأة تبع لزوجها

ـ إذن ترحبين بالزواج من شرف منصور

ضحكت وقالت : عند الجد افكر بجد

تهكم ساخرا : عند الجد تفكرين .. فلنتعرف على بعض اكثر .. واهم شيء عندي اذا تزوجنا لا أريد خلفة

ردت مطمئنة : منذ دخلت الجامعة وأنا أعرف موانع الحمل

ـ نمت مع احد غير زوجك

ـ صدق صاحبك عاصم إن قبلته صاحبا لك لما علم بطلاقي وتعرفنا رغب بذلك ظنني ابحث عن عشيق فتطوع لذلك

ـ هذا هامل .. لا يعمل ولم يتزوج ؛ لكنه ورث شقة عن أمه

***

أصبحت أسيل تذهب المسبح صباحا قبل ذهابها للمصنع الذي تعمل فيه في قسم صيانه المكائن كما يفعل شرف وتفطر معه وتشرب القهوة برفقته في مطعم النادي حيث المسبح وأعجبتها صحبة شرف ورفقته ، وشرف كان بالفعل يرغب بالزواج منها ، ثم وظفها في الشركة المالية التي يديرها بعد ثلاثة اشهر قضتها في مصنع شقيقه محمد ، وكانت وظيفتها رئيسة قسم لا يمتد للهندسة بشيء ، قسم له علاقة بالترجمة للمراسلات إلى شركات السيارة التي يستورد منها

أنواع مختلفة من السيارات ، حتى انه أرسلها لكندا ؛ حيث ترك فيها شراكة مع شركة سيارات أو مصنع سيارات لترتيب صفقة ، وقامت بالمهمة على خير ما يقام ، ولما حملت السيارات المطلوبة على باخرة شحن استعدت للعودة ، ولما سألت سلوى أمها عن أسيل ذات حديث تفاجأت بقول أمها : ذهبت إلى كندا

تفاجأت سلوى وقالت : هجرة !

ـ عمل ، ذهبت نيابة عن مديرها في صفقة سيارات لمعرضه

ونتيجة الحوار عرفت سلوى أنها تركت شغل الهندسة والمصانع وتعمل في شركة شرف منصور فصدمت سلوى لهذا الخبر وقالت لأمها : لم تجد للعمل إلا عنده ..ألم تتذكرينه يا أمي ؟

ـ نعم أذكره .. واذكر قصة صديقتك نادية معه ورفضها للزواج منه ..كان والده وزير يا سلوى وهي تعمل معه من شهور فقط .. شغلها أولا في مصنع لأخيه الذي اسمه محمد ثم انتقلت للعمل في شركته الخاصة كما فهمت منها

ضحكت سلوى وقالت : اعرفه بشكل جيد وكيف تعرفت عليه ؟

ـ تعرفت عليه أثناء العزاء بزوجته عن طريق شقيق الميتة الذي اسمه عاصم دبوس ووظفها كما قلت في مصنع أخيه لفترة

وفاجأتها أمها بقولها : تقول أختك انه قد يتزوجها

صرخت : هذه الأمور مطورة من شيوعية إلى رأسمالية والمحامي عادل .

ـ ماتت الشيوعية بطلاقها من جميل والمحامي ابتعد عنها

ـ ما أخبار السيد جميل ؟

ـ سمعت من أمه أنه مريض وعاد للعيش في بيت الأسرة وقليل الشغل

تهكمت وقالت : مريض! الكل يمرض .. ما مرضه؟

ـ مشاكل في الرئة بسبب الدخان

ـ وتجدينه ما زال مدخنا ، لما ترجع أسيل فلتمر عليّ لأحدثها عن شرف قبل أن تتورط

الفصل السابع والعشرين

ناقشت سلوى ما سمعته من أمها عن عمل أسيل مع شرف منصور ابن عم نادية علي بعد تركها المصنع مع شريكتها نادية، صدمت نادية من الخبر ومن الحديث عن الزواج منه ، وخلصت إلى الصبر حتى سماع الخبر والحدث من أسيل بعد رجوعها من كندا ، وعجبت من عمل أسيل مع شرف فذكرت لها المعلومات التي سمعتها من أمها ولما علمت نادية عن الطريق التي وصلت بها لشرف استغربت القصة ، وقصت عليها قصة مقهى العمال والمحامي العليل الذي كاد أن يتزوجها بعد انفصالها عن قريبها المهندس جميل، ولما علمت سلوى بعودة أسيل من أمها، طلبت من أمها أن تبعثها إليها لتحدثها عن شرف ابن عم صديقاتها نادية التي تعرفها أم سلوى فذهبت أسيل لبيت سلوى وروت لها قصتها مع شرف وطريقة التعارف من اجل العمل بمصنع محمد منصور ثم تعمق علاقتها بشرف والتلويح بالزواج وتنتظر الإشارة وقالت : الحياة بدون زوج مزعجة ، والواحدة تسمع وتتعرض لغمز كلما حدثت شابا أو رجلا أو جلست معه في مطعم أو مقهى ، فروت سلوى لها قصة نادية مع شرف وغالية فقالت: لم اعرف أن نادية ابنة عمه إلا من أمي لما عدت من كندا ، وقصة غالية رواها لي هو نفسه كيف عملت سكرتيرة عنده وأصبحت عشيقته وحملت لتتزوجه ، وذكر لها قصة ابنة عمه ولكنها لم تسمع منه اسم نادية وهي لا تعرف نادية بصورة واضحة وحكايتها مع شرف ، وكان والده يريد إرغامه على الزواج منها ورفضت واستغلت غالية الظرف وحملت سفاحا فاضطر للطيران بها لألمانيا للإجهاض ولما تزوجت قريبته تزوجها صورة بسبب ما تعرض له من أذى من شقيقها، ثم طلقها وهرب لكندا وبعد وفاة والدته عاد لإدارة أعماله ، ثم تزوجها حتى ماتت وهي تعرفت عليه عن طريق عاصم شقيق زوجته غالية أيام العزاء بأخته ثم وظفها بمصنع أخيه محمد ولرغبته بالزواج منها نقلها لشركته كمديرة في قسم الترجمة والمراسلات فهو كان معي صريح لم يخفي عني شيئا

قالت نادية التي دعيت للاستماع : كان صادقا معك هذه سيرته .

قالت سلوى : كل ما ذكرت أغلبه صحيح ؛ ولكنه كثير العلاقات مع النساء والجمعيات

الخاصة فيعني أنت ستكونين مجرد ديكور

ـ قال لي ذلك ، لم يكتم هذا أيضا ؛ بسبب أن هذه الأماكن لا يدخلها إلا الأزواج والنساء ورافقته إليها بعض المرات بسبب أني زوجة على الطريق رغم الغموض لم أر فيها سوى الأكل والشرب والمشاريع جمعيات مالية تكسب أصحابها مشاريع وأموال .

ـ هي جمعيات بوجهين كما سمعت من نادية .. وجه ظاهر ووجه خفي ..أليس كذلك يا أم عبد الله ؟

قالت نادية : بلى يا أم حسان

ـ وكيف تعرفين ذلك ؟

ردت نادية : شرف ابن عمي وأبوه كان وزيرا قبل وفاته الغامضة

قالت أسيل بدهشة : الغامضة لم افهم

قالت سلوى مجيبة عن نادية : ولا أنا ؛ لكن صديقتي الغالية تؤكد أن عمها مات بعد استقالة الوزارة بظروف غامضة بعد سنتين تقريبا .. قالوا لهم انه كان في اجتماع تجاري فمرض ونقل للمستسقى مصابا بجلطة دماغية ولم يتعافى منها ومات

قالت نادية : هذا ما حصل لم نعرف التفاصيل

قالت أسيل : رحمه الله صرت رأسمالية كما تقول أمي

قالت سلوى : قلتها لها على كل حال قبلها .. الزمي الحذر ولنكن على اتصال أنت ابتعدت عن المحامي كليا

ـ لما ذهبت لعزاء عاصم وزوج أخته شرف تركتهما لأن عاصما هو الذي عرفني على زوج أخته وتوسط لي عنده للعمل عنده .. وطلب منه أن لا يراه بعد انتهاء العزاء فالتي كانت تربطه به ماتت ؛ وكأنه سمع النصيحة ، وأنا بدوري تركت زيارة مقهى العمال

ـ تقضين الوقت مع شرف

ـ تقريبا

***

اتصلت نادية بشرف بعد سماع قصة أسيل وسألته عن حكايته الجديدة مع أسيل وأخبرته أنها شقيقة شريكته في مستشفى الأطفال الدكتورة سلوى خازن فوجئ بالتعريف وقال : أسيل شقيقة سلوى زوج الدكتور وليد صدقي قبل الطلاق

قالت : نعم ؛ فإذا لم تكن جادا بالزواج منها فابتعد عنها من اجل أنني ابنة عمك

ـ أنا أقدرك وأحترمك يا أم عبد الله ، وانا لم أخبئ عنها شيئا من حياتي الاجتماعية السابقة ومنذ عرفتها يوم عزائها في غالية دبوس ، لقد ملت إليها ولكني لست سريع الزواج .. فعليّ أن أعيش فترة في دراسة من سأرتبط بها ، لم يعد الحسن وحده يجذبني للنساء كبرنا كما يقال وانا فعلا جاد بالزواج منها ؛ لأن عضويتي في بعض الجمعيات الخاصة جدا تحتاج لوجود امرأة مع العضو فلابد من زوجة

ـ ما هي هذه الجمعيات السرية ؟

ـ جيد ! أنت قلت سرية .. ولا يجب أن أتكلم عنها ..هي جمعيات يستفيد منها الشخص في أعمال وصفقات كثيرة هي تشبه جمعيات الماسونية اذا سمعت بها ؛ لكن لا يوجد فيها عنف واغتيال ودرجات .. وجيد أن عرفت المزيد عن أسيل ولكنها ماركسية في أفكارها

ـ صحيح وذلك قبل عودتها من بولندا يا شرف.. تزوجت ماركسي مفلس مثل ماركسية أوروبا وطرد من بولندا كما تعلم بظهور حركات الحرية وانحسار المد الروسي فيها

ـ شكرا وسلمي على لبيب وابن عمتي هشام سمعت أن أمه مريضة

ـ صحيح الكبر قد بلغت ٧٥ سنة

ـ سلمي .. لدي ضيف وسأهتم بنصحك عن أسيل واذا حسمت الزواج سألتقي بك اذا سمخت لي

ـ السلاك عليكم

***

قال مخاطبا لها صباح اليوم التالي عندما جاءت للسباحة الصباحية : الدكتورة سلوى خازن أختك

حدقت في وجهه وقالت : سلوى هل اتصلت بك ؟

ـ لا ؛ لكني اعرفها من معرفتي بزوجها وليد ومن ابنة عمي الدكتورة نادية علي

ـ من قريب عرفت أنك ونادية أقارب لما رجعت من كندا

ـ وامس ليلا عرفت قرابتك لسلوى .. وأنا ونادية علي لنا قصة

ـ ذكرتها لي يوم تعارفنا لما انتقلت للعمل معكم .. ذكرتها بدون ذكر اسمها قلت ابنة عمي ورفض عمك وأبيك الزواج إلا منها .. سمعت من أبي السمن أن خطيبة ابن أختك ستعمل معنا

ـ هي سكرتيرة متعلمة سكرتاريا وخطبها ابن أختي زياد وترغب أختي صفاء أن تعمل في شركتي لفترة كتدريب لم ترغب بالعمل في شركة أبيها أو شركة أمها وأختي

قدمت داليا وخطيبها زياد لشركة شرف المالية والاستثمار الدولي استقبلهم شرف فهو خال زياد وبعد شربهم القهوة ودردشة طلب من السكرتيرة ذهابها بداليا لقسم السكرتاريا والمراسلات وتحدث مع أسيل للاهتمام بداليا

دخلت القسم وتعرفت على فتيات وشاب وحيد في القسم المختص بالمراسلات التجارية وترجمتها وأرشفتها ، ومراسلة الشركات ، كان ضمن الكادر في القسم شابا وحيدا وسيما اسمه غسان فلما صافح الفتاة مرحبا ضاغطا على كفها فنظرت وابتسمت فقال لها : اسمي غسان كامل

ـ أهلا أنا داليا فوزي .. أرى انك الشاب الوحيد هنا

ضحك وقال : حظي

تركت يده وتابعت التعرف على الفتيات ، ثم غادرت بصحبة أسيل لمكتب المدير وبعد دردشة حول العمل قال شرف مخاطبا لداليا فوزي : غدا ستباشرين العمل لمدة أسبوع تحت التجربة

ثم نوقع العقد يا زياد وتعرفين الراتب الأولي

قال زياد : آ .. ما رأي داليا بالشغل في مكتب المراسلات مع السيدة أسيل

ـ سأجرب يا أستاذ شرف كما تقول

ـ ممتاز واذا لم يعجبك القسم نقلت لقسم آخر قسم المال والاستثمار للدراسات المالية للشركات في المدينة .. قسم يحتاج لثقافة في الحساب والموازنات التجارية والأرباح والخسائر

قالت : غدا سأباشر الشغل الساعة التاسعة

قالت أسيل : نعم الموظفون يبدأ عملهم التاسعة صباحا

غادر زياد وخطيبته وعادت أسيل لمكتبها وطلب شرف كوبا كبيرا من الشاي وهو يقول للسكرتيرة : عندي زيارة لطبيبي يا شادية ! وقد لا أعود فعليك إغلاق المكتب كالمعتاد الخامسة مساء

***

عندما حان وقت الغداء في الشركة استأذن غسان المديرة بمرافقة داليا التي قبلت ذلك ليدلها على افضل مطعم مجاور للشركة ، فتركا المكتب فدلها على مطعم قريب من العمارة وعادا معا وقد احضر معه ساندويشات لبعض الزميلات في المكتب، وخرجت أسيل مع بعض الفتيات لتناول وجبة الغداء ، العادة بالتناوب الذهاب للمطاعم والشراب للعصير أو الشاي خارج المكتب مع السماح بتناول الشاي والقهوة في المكتب؛ إما عن طريق عامل الشركة بالمقابل المادي أو في زاوية داخل المكتب يتم شراء المواد على نفقة الموظفين بالمشاركة .

اصبح الخروج ظهرا للغداء بين فوزي وداليا طبيعيا ومشهودا للغداء والدخان لأنه غير مسموح بالدخان داخل المكتب ، هناك حجرة يسمح فيها بالدخان بين كل فترة وأخرى .

وهذا الحال لم يعجب أسيل وحتى بعض الكادر ، وحدثت شرفا محذرة من خطر هذه الصحبة

فقال ضاحكا : ويلك ! أيستطيع هذا السخيف إقناعها بنفسه وتتخلى عن زياد ؟

ـ لأنهما اصبحا لا يأكلان إلا مع بعض ونادرا ما ترافقهما فتاة أخرى

ـ أليس هو كان يفعل ذلك قبل داليا ؟

ـ بلى ، وكان يحب الخروج وحده للأكل ، قليلا ما تصحبه فتاة .. لم يكنّ يحببن مرافقته .. يستخدم ألفاظا سيئة مع عمال المطعم تسبب الحرج لهن

ـ سوف أرى ..فخذي بالك .. فهو عندنا لأن عمه صديق لي وبيننا أعمال تجارية

ـ من هو عمه ؟

ـ عمه السيد ثائر حسنوي صاحب شركة استيراد سيارات تويوتا اليابانية

فكرت بالاسم للحظات وقالت : تذكرته ! هو عم السيد غسان كامل

ـ نعم يا حضرة المهندسة .. هناك سفرة لكندا تذهبين أم ارسل ياسر من قسم الاستثمار

ـ ياسر

استدعى شرف الموظف غسان وقال : لماذا لا تخرج للغذاء إلا مع داليا فوزي ؟

ـ لا شيء زملاء عمل يا سيد شرف

ـ نرى يا غسان أن الأمر زاد عن زملاء عمل .. وهذا أمر يزعجني .. فأنت تعلم أن هذه الفتاة خطيبة لابن أختي المهندس زياد وقبلتها بدون رضا كامل .. انتبه لنفسك حتى لا تفقد الوظيفة معنا ولا تغضب عمك ثائر حسنوي

لم ينتبه الشاب لنفسه ، ولم يأخذ التحذير والتهديد بجد ، واستمرت العلاقة ؛ بل علم شرف أنها ترافقه للمسرح وغيره بدون علم خطيبها زياد ، وشكى له ابن أخته موظفه لم علم باللقاءات الأخرى ، فطرده شرف بدون تردد ، وألغى عقده ، ولفت نظر داليا بأنها مهددة بالطرد مثله ،ولكنها هي الأخرى لم تصغي للتحذير من الخال ولم تبالي واستمرت شكوى زياد فنصحه شرف بعدم الزواج منها فقال : أمي تريد ذلك لصداقتها لأمها الطويلة

ولم يكد شرف يطردها وينبه زياد على تركها ، اختفت مما أثار الدهشة والحيرة ثم تبين أنها هربت مع الموظف المطرود غسان ، وعلى إثر شيوع الاختفاء اعلن زياد لوالديه على تركها

***

بعد حادثة اختفاء داليا اتفق شرف وأسيل على الزواج رغم اعتراض سلوى ، ووافق والدها على الاقتران ، فلزمت سلوى الصمت ، ونصحتها نادية بالصمت وخففت من غضبها ، وقالت : هذا آخر شيء يدور في خلدي أن تتزوج أختي من شرف الذي يخلو من الشرف .

وفعلا أصبحت أسيل زوجة شرعية لشرف وانتقلت للعيش في شقته كزوجة بدلا من عشيقة ولم تكترث لغضب سلوى ، ووصت نادية شرفا عليها فضحك وقال : هذه امرأة شرسة أنا المحتاج لتوصيها عليّ . وممن طار صوابه لما تحقق الزواج المحامي العليل عادل ، فقد كان يأمل أن تقبل به زوجا بعد أن بردت العلاقة بينهما وتعود إليه ذليلة ، بعد أن عرفها عاصم على شرف ونتيجة لذلك ترك صحبة جميل وعاصم ، وترك التردد على مقهى العمال الشهير منذ عقود ؛ ولعله انتقل لمقهى آخر وزبائن آخرين .

وعلم أعضاء الجمعية السرية بأن أسيل أصبحت زوجة قانونية لعضو الجمعية وتركوا الاستقبال الحذر منها ، وفي هذه الفترة علم شرف بمرض ابن عمه عمار بالسرطان ، وبعد تشخيصه من أطباء الجيش أحيل على التقاعد ، وتعرض لمحنة أخرى أن ابنته البكر رغبت بالزواج من شاب عرفته أثناء الجامعة مم ذكره بقصة نادية وشاهد ، ولما عرفته ابنته على الشاب رآه غير مناسبا لمناسبة ومصاهرة عائلته ، ونصحه بالابتعاد عن ابنته ؛ ولكن ابنته رفضت اعتراض والدها ، وذكرته زوجته بقصة نادية وأن الاعتراض في هذا الزمن لا يجدي ؛ ولكنه قال مستسلما : لما تتخرج نفكر بالخطبة الرسمية .. ما هي طول وقت الجامعة وهي معه .

فلزم عمار الصمت وهو يتذكر موقف والديه من قصة حب نادية لشاهد حماد ، وكيف كانوا يؤيدون الوالد بإرغامها على الزواج من ابن عمهم شرف ، وكيف تركت نادية الفيلا سخطا وعاشت وحيدة ، وعجزهم عن فعل شيء إلا إزعاجها بكثرة التردد على شقتها خوفا على سمعتها فقال لنفسه : بل على سمعتنا .. لماذا لا نرضى لأخواتنا ما نرضاه لأنفسنا من الصياعة والفساد ؟! هل هذه تربية عادلة ؟ ها أنا بنتي عاجز عن منعها ممن تصاحب هل هذه أنانية أم تقاليد اكثر منها أنانية ؟

قالت الزوجة وقد لاحظت تفكيره مع نفسه والتحديق في السقف: بماذا تفكر ؟ بنادية

ابتسم وقال : فعلا عم أتذكر عناد أبي مع نادية

ـ هو لم يكن عناد يا عمار ؛ كما بدأ لي هو لو لم يكن شرف في القصة لسمح لها بالزواج ممن تشاء كان بينه وبين المرحوم عمك حكاية شعرت يومها أنها تتعلق بأمك الحاجة ريناد

هز رأسه وقال : صدق حدسك نحن عرفنا الحكاية عند طلاق أمي .. على كل حال اذا أصرت على خلافنا سأصمت لا تقولي لها ذلك لنرى نهاية هذا الحب

الفصل الثامن والعشرين

كانت جمعية شرف الخاصة هي جمعية اقتصادية ، هي لم تكن سرية بالمعنى الكامل للسرية دون علم الدولة هي جمعية خاصة برجال المال والبنوك وتهتم بتنظيم صفقات مشبوهة للتجارة بها داخل القطر وإدخالها للبيع داخل البلاد ، ويزيد عدد أفرادها على الخمسين وعادة تبدأ السهرة بالطعام والشراب ثم يختلي الرجال بقاعة مغلقة ومناقشة أعمال خاصة بالمجموع ، وتظل النساء في صالة الجمعية لسماع الأغاني والموسيقى واللهو حتى ينتهي الاجتماع الخاص ، مثلا يراد إدخال بضاعة فيها عيوب أثناء التصنيع ، فتوزع عليهم بحيث لا تنتبه لها أجهزة الجمارك والضرائب، فتدخل متفرقة سواء سيارات أدوية أغذية أموال مزورة .

فأمام الأعضاء بعد الاجتماع الخاص سهرة وأغاني لهؤلاء القوم تمتد للفجر عادة ، وقد تجلب راقصات للرقص عاريات أمام الرجال والنساء ، والذي فضح الطابق اكثر للأجهزة المختصة أن احد الرجال حاول قتل منافس له ، واستطاع إدخال مسدسا خفية ، ولم يتركه في سيارته كما هو متعارف بينهم ؛ ولكنه لم يصب خصمه ومنافسه أثناء السهرة فعندما اطلق النار وكان ثملا ترتجف يده فأصابت الرصاصات شرف في ساقه ورجل آخر كانا بالقرب من المقصود ، الرجل المصاب كانت الرصاصة في كتفه قريب من القلب ، وشرف أصابت رصاصتان ركبته اليمين وساقه ، وحضرت الشرطة والبحث الجنائي وفريق التحقيق في الجرائم ، ونقل المصابون للمشافي وكان وضع ركبة شرف في خطر وقد يضطر لعملية بتر لتفتت الركبة .

ولما تعافى إلى حد ما قرر السفر لأمريكا لعلاج رجله اليمين قبل قطعها ، واستلمت المهندسة أسيل مكان عمل شرف ، وقام ابن أخيه محمد الشاب المحاسب يزن بمساعدتها حتى يرجع عمه ، ولم يرحب أحد بسفرها معه مما ضايقها وآلمها فلم تكد تفرح بزواجها منه .

بعد ثلاثة شهور وهو في أمريكا وافق شرف على توقيف أسيل عن إدارة الشركة وأعماله لضعفها الواضح في الإدارة وقد طال السفر ، فتضايقت وغضبت من تصرفه ومن ابن أخيه يزن مما اضطر يزن بموافقة عمه ووالده على إنهاء خدماتها معهم نهائيا ريثما يرجع شرف الذي قام المستشفى بقطع رجله ، وقد تم تركيب ساق صناعي له من احدث السيقان الصناعية وسيبقى مزيدا من الوقت تحت المراقبة والمعاينة

***

أما الدكتور شاهد فقد تعب من إدارة المصنع أو شركة الدواء ودهمته الأمراض وحالته النفسية أصبحت مقلقة للأسرة وعرض على أطباء الطب النفسي ، وعجزه عن إيجاد امرأة تتزوجه كزوجة فقط ، فكان يعيش في حالة اكتئاب كما شخصه أطباء النفس ؛ لذلك اعتزل الناس ويعيش وحيدا في شقته ومعه تلك الخادمة التي بقيت تخدمه منذ هلكت زوجته ، وكان يعيش حياة قلقة ومقلقة لوالديه ، ودبرت له أمه من جديد فتاة من طبقة فقيرة قد طلقت مرتين، وكانت عصبية جدا ، ولم تكن تتحمل أي كلام لا يعجبها منه ، فكثرت المشاجرات بينهما كما يقال على الحامية والباردة ، وكانت تعيره بقبولها به وهو العاجز عن الخلفة ، فيثور سخطا ويصفعها بعنف ونقمة فتدفعه عنها بقوة وصراخ حتى دفعته مرة بشدة فخبط رأسه بالخزانة في غرفة النوم ونقل للمستشفى وتركت المرأة الدار بضعة شهور ثم اصلحوا بينهم

***

أسيل لما رأت أن غيبة شرف طالت حوالي السنة ، لم يعجبها الحال والبقاء وحيدة ، ورفض الرجل سفرها طلبت الطلاق فكلف شقيقه ووكله بذلك وقال : قد أتزوج فتاة من هنا

وبالفعل تطلقت أسيل للمرة الثانية وأخليت الشقة حسب الاتفاق وأخذت مبلغا جيدا وكان

أهلها على اطلاع بالإجراءات ، ولما انتهت من قضية الانفصال رجعت تتردد على مقهى العمال تبحث عن المحامي العليل عادل . فقال لها زوجها السابق جميل بعد أن بارك لها الطلاق : ترك المقهى هذا وعلمت أنه وجد من ترضاه ذكرا لها .. تزوجي عاصما فهو محب لك أو ارجعي إليّ

ـ ومن قال لكم أنني أريد الزواج

ضحك جميل ساخرا : ولماذا عدت للمقهى يا سيدتي ؟ جئت لتعاطي النرجيلة أو للعب الشدة

فقال عاصم متابعا السخرية : أنا لن أتزوج ، فأنا غير صالح للنساء ؛ إنما زوجك السابق يسخر منك ويعلم أنني غير قادر على الزواج والحب وكل تلك الأسماء التي يرددها أهل الطرب والغناء وأنت فعلا لماذا عدت هنا ؟ النشاط الشيوعي توقف هنا من سنوات.. هؤلاء الناس هنا للهو والبحث عن أعمال يومية .. هل ترين من شيوعين هنا سواك ؟ .. فأنت منذ علقت بشرف لم نراك هنا ..حتى المحامي المسكين الذي وقع في غرامك ترك المقهى غضبا منا وفقدنا لاعب ورق ماهرا

فقالت :اشتقت لرؤيتكم زمان ما جلست معكم .. وأنت لماذا لا تتزوج لليوم حتى أيام أختك لم تتزوج ؟

ـ أنا احب واعشق الصراحة .. الزواج يحتاج لمال ومصروف وخلفة ..المدام مرضت الولد تعب اسرع على الدكتور .. وكذلك بنات الهوى موجودات فلست بحاجة لمصروف وإطعام دائم عليهن و... و ...

ـ بنات الهوى صاحباتك يحملن الأمراض المعدية والإيدز الذي ظهر من سنوات

قال عاصم : الحياة الزوجية كما يقول جميل تكاليف يا أسيل وزيارات للأقارب والعقارب.. هذه ولدت بدها هدية .. وتلك مرضت بدها زيارة

ردت عليه : عشت سنوات مع شرف وقبله مع هذا ـ جميل ـ قليل جدا لما نذهب لمناسبة اجتماعية أحيانا نذهب لعزاء قريب .. حياتنا سهر وحفلات طرب لا مكان للواجبات الاجتماعية

فقال جميل بعد صمت طال بينهم : شرف معه فلوس.. نحن يوم نشتغل وعشرة هنا للعب

الشدة والمشاجرات ما أخباره شرف صاحبك ؟
ـ قطعوا رجله ، وركبوا له رجل صناعية ، وماذا تعمل اليوم يا جميل ؟
ـ تركت الهندسة اشتغل مرات على سيارة أجرة مع احدهم لتحصيل ثمن الطعام والدخان والبتاع .. وقليل من الشراب والسيد عاصم يفعل مثلي لنريّح السواقين بعض اليوم .
فقالت ببطء: وأنا تركت الشركة بعد سفر شرف للعلاج في أمريكا ، ثم طلبت الطلاق لرفضه سحبي إليه .. وجئت ابحث عن عمل سواء هندسي أو إداري .. صار لديّ خبرة في الإدارة
قال عاصم بحدة : لا تضحكين علينا .. أنت مطلقة تبحثين عن عريس جديد ؟.. أنا مستعد للبحث عن عادل مع أننا علمنا انه تزوج ؛ لعله يجمع بينكما التعدد في ديننا جائز .. أو ارجعي لجمول فهو اعزب مثلي
ـ لست بحاجة لزوج ولا العودة لجمولك ، ولا البحث عن المحامي العليل كما سميتموه .. أنا ابحث عن مالك صفوي.
قال عاصم صافنا : مالك صفوي من هو مالك صفوي ؟ أتذكره يا جميل ؟
قال جميل مبتسما : ألا تذكره ؟ ذاك الشاب التمثال الصامت كان يجلس قريبا من طاولتنا يتفرج علينا ولا يتكلم فعلا أين ذهب ؟ لم نعد نراه .. هل تعلم انه اختفى بعد زواج أسيل ؟ .. نعم تذكرته .. لأنه كان أحيانا يتهامس فقط مع حضرة المحامي
قال عاصم : وانا تذكرته كان يتكلم معنا بالهمس والإشارة .. وأنت كيف تعرفينه بعد هذا الزمن ؟ ولماذا تبحثين عنه ؟
قالت : جلست معه مرة وعرفني على نفسه قبل دخولكم المقهى وذكر لي انه صاحب شركة
صاح جميل دهشة : هذا التمثال الصامت صاحب شركة ! وماذا يفعل في مقهى الغلابة والطفرانين ؟
قالت : لم أطيل الحديث معه ، وفهمت من كلامه حينئذ انه يقدم لي عرض زواج
قال جميل ضاحكا ومؤكدا : حقا هو عرض زواج ! ما اسم شركته ؟ وماذا تبيع شركته ؟ لم

نكن نراه يتكلم مع احد كنا نظنه مخبرا للأمن بصمته دخان أرجيلة شاي قهوة

فقال عاصم : هو شكله يوحي بما قلت ، وظننته كما ظننت أنت انه شرطي سري يراقبني ؛ لكن لما اختفت أسيل بعد ذلك اختفى ونسيناه .. ما ذكر لك اسم عمله أو شركته ؟

قالت : لا ، اختفى بعد تركي المقهى ..كيف الوصول اليه لعلي اجد وظيفة عنده ؟

قال : قال لك اسمه مالك صفوي !

***

قالت سلوى لنادية ذات صباح عندما جلستا في مكتبهما يشربان قهوة الصباح : تحدث معي الدكتور وليد ليلة امس ويسلم عليك ويقول لك ادع لشاهد صديق الجامعة

ـ ما به ؟ هل هناك غير ما تعرض له من ضرب من امرأته ؟

قالت بحزن : يبدو أنه صار معاقا عقليا من الضربة

هتفت بشفقة وعطف : يا لطيف ! ألم يخبرنا وليد بشفائه منها ؟!

ـ صار عنده نزيف في الدماغ

ـ يا لطيف يا الله! شفاه الله .. شاهد ذكريات يا دكتورة ؛ لكنه اصبح من الماضي السحيق .. أتمنى له كل سلامة وخير من قلبي

ـ وليد يقول أن الوضع خطير وطلقت البنت

ـ احسن .. وهو أخطأ بالزواج الثالث

***

دخل لبيب بيته في عمارة ريناد امجد فوجد زوجته وحماته وأطفاله الأربعة يجلسون في صالة المعيشة فألقى التحية ، وجلس يرحب بحماته ورحبت به ودعت له ، وسألته عن والديه فطمأنها وأنهم دائما يبعثون سلاماتهم وتحيتهم إليها ، فأحضرت الخادمة كوبا من الشاي له ، فطلب الجميع الشاي أو مزيدا من الشاي ، فسألته ريناد عن الدكتور هشام وهي في العادة تسأله كلما أتيحت لها الفرصة فقال باسما ومخبرا : أخباره جيدة فقد سُلم حقيبة عمادة الكلية الشرعية

هتف نادية بفرح : صار عميدا للكلية

ـ اليوم اخبرني بذلك ، ولما يستلم المنصب سنذهب لبيته إن شاء الله للمباركة

عبرت ريناد بدورها عن فرحها بمنصب هشام ياسين وقالت : واجب أن نشاركه الفرحة ونهنئ الحاجة فاطمة

فقال مداعبا : كيف حالك معها أيام المرحوم علي ؟

ضحكت ريناد وقالت : كأننا لم نكن نعرفهم يا حضرة المهندس .. والغريب وها هي نادية تشهد لم يكن لهم حضور بين اخويهم منصور وعلي وحتى والدهم عرفة ، ولا عمري سألت عن السبب لهذا الجفاء ، ولليوم لم اعرف السبب ، لولا علاقة نادية بهم قبل سنوات لظلوا غامضين في حياتنا مع انهم ناس أغنياء مثلنا ، حتى عمري ما سألت كيف تزوجت أم هشام من منذر ياسين ؟

قال : أنا أبين لك .. الزواج حصل قبل وزارة المهندس منصور بزمن بعيد .. حتى قبل أن يكبروا في المجتمع هي اصغر الأخوة الثلاثة .. وقصة الزواج كما سمعتها من هشام حدثت من قبل والد منذر الحاج شاكر ياسين ووالد عرفة الشيخ علاء الدين

قالت نادية : متى نتعشى قبل الإجابة ؟

أشار للخادمة بتقديم الطعام لهم في الصالة وقال مكملا ما يعرف : الذي فهمته من صاحبنا هشام أن جده شاكر ياسين كان يبحث عن زوجة لابنه منذر فقال والد عرفة علاء الدين ابني عنده بنت وصار النصيب اعني الذي زوجها لمنذر جدها فسكت عرفة

قالت ريناد : لذلك لم يعجب الزواج عرفة وأبنائه

قال : صحيح هذا ما حصل ، فأصبحت كالمهجورة معهم ، والذي زاد البعد بينهم تدين زوجها ولم يعرف طريق الخمر والملاهي والنوادي ، كان ملتزما بالتدين كما أولاده وبناته لليوم

قالت نادية : علينا كما أمي الذهاب لتهنئته بالمنصب ولزوجته الدكتورة رجاء ولعمتي فاطمة

الفصل التاسع والعشرين

لما رجع زياد أسامة من العمل وجد أمه صفاء منصور تجلس وحدها في مكتبها داخل البيت فحياها وقال : كيف حال أم زياد ؟

ـ أهلا زياد ضغطت على جرس المكتب جاءت الخادمة : نعم سيدتي

ـ قهوة لزياد وأمه .. أهلا زياد ألا تريد الزواج بعد ؟

ـ أريد هل وجدت عروسا جديدة لزياد ؟

ـ عادت داليا فوزي

قهقهة كأنه في مقهى أو ملهى وقال : هل تفكرين بأن أعود إليها بعد كل هذه الغياب ؟ أين كانت ؟

ـ حدثني صديقتي جوانا عن عودتها وعن ندمها ورغبتها بالصلح معك

هتف دهشة : ندمها والصلح معي .. يا أمي لا يهمني ندمها ولا يهمني هربها ولا افكر فيها .. هذه خائنة من قبل الزواج الفعلي .. فهل يؤتمن جانبها بعد الزواج؟ فكري بغيرها .. فكرت ببنت من بنات ابن عمك كمال.. رأيت أن عنده فتاة أنهت الجامعة وقد تعمل في الشرطة مثل أبيها

ـ صحيح اسمها دلال ولكني لا ارتاح لأمها يا زياد ولا حتى أبيها

ـ آ .. ما قصة داليا بعد عودتها أين كانت مختفية ؟

ـ لما حدثتني جوانا عن محاولة تصحيح الوضع قلت لها لا يمكن أن يفكر فيها زوجة وقالت كانت صغيرة وجاهلة وكانت تعتقد أننا نجبرها على الزواج من زياد المجهول منها

ـ ليس المهم المجهول منها .. المهم سنة تغيب مع عشيق

قالت : هم كانوا يعلمون أين هي ؟وأين اختفت ؟ هي كانت ترفض العودة لبيتهم .. يبدو أن الشاب فلس ولم يعد قادرا على الإنفاق عليها فضاقت منه

ـ هذه يا أمي عاهرة فاجرة .. اعتقد أنه مل منها ووجد غيرها فطردها كأنها كلبة جربانة ..

تعيش مع رجل بدون عقد .. هذه من يتزوجها احمق !ولا أظن انه انفق فلسا عليها

ـ بنت مليونير يا زياد

ـ ولماذا تعمل إذن ؟

ـ هل بنت المليونير تقعد في البيت ، ولا اعتقد أن عودتها بسبب المال .. قلت ذلك من عندي لأن جوانا لم تصرح بسبب العودة

ـ انظري بنت ابن عمك كمال والمصنع ملآن بنات لما يرغب الواحد بالزواج يحتاج لفتاة راكزة فتاة ليست لعوبا .

***

كان المهندس جميل أول مرة يسمع عن حوار دار بين طليقته وبين مالك صفري التمثال الصامت ، كما اطلق عليه هو وعاصم ، وعرف منها أنه صاحب شركة وليس مخبرا كما ظن وقال لها ذلك كفكرة إغراء بالزواج منها وقال لنفسه : هي جميلة فعلا هي جميلة ومثيرة للرجال بحركاتها ويشتهيها الشباب فقد أوقعت بالمحامي عادل ببضع جلسات، وسقط شرف في هواها بأسرع من البرق ، وها هو السيد مالك كاد يسقط .. ولماذا اختفى بعد اختفائها ؟ هل كان يحضر من أجلها فقط ؟ قلنا أن عادلا خاب من فشله بالزواج منها فترك المقهى وهجرنا .. اذكر مرة التقيته في شارع نابليون الفرنسي فبرر انصرافه عن مقهى العمال بوجود أصدقاء له في مقهى الجامعة .. كان يتركنا أحيانا ويجلس يتهامس مع مالك صفوي .. لاحظت ذلك اكثر من مرة كانوا يتهامسون ولم نهتم بذلك بحكم وجودنا في المقهى وهو زبون مثلنا .. فكان الرجل مجرد مشاهد يراقبنا أثناء اللعب والكلام ..سأبحث عنك يا مالك واعرف لماذا اقتربت منا ثم اختفيت فجأة ؟ هل كان يطارد أسيل ؟ وكيف عرفها قبل مجيئه للمقهى ؟ هل هو صديق للمحامي عادل ولم نأخذ بالنا لتحاشيهم الثرثرة علنا وبصوت مسموع ؟

صار كلما يذهب لمقهى العمال للقاء عاصم والشلة التي تعرفوا عليها في المقهى يذهب ساعة إلى مقهى الجامعة المعروف له للقاء المحامي العليل كما سموه ؛ لعله يصدفه .. شغل نفسه

بعرض مالك العمل أو الزواج على أسيل حتى أنها عادت تبحث عنه بعد كل هذه السنين ، ولم يطل البحث عن المحامي العليل في اقل من شهر التقاه فجعل من نفسه أنه يلقاه صدفة وأخذا يتذكران ذكريات مقهى العمال ، وسبب بعده عنهم ، وأثناء الحديث ذكر فجاءة قصة مالك التمثال فقال المحامي بدون موارية : هو معرفة ، لقد عرفته عن طريق المحاكم .. كانت له قضية عندي قبل أن أتعرف عليه فتعرفنا

ـ أنا ظننته عابر سبيل تلك الأيام وحسبته مخبرا للأمن

ـ هو فعلا عابر سبيل وما ذكرك به بعد اكثر من سنتين؟

ضحك جميل وزعم : قبل أيام رأيت شخصا في المقهى فظننته هو وعاد ليراقبنا فاعتذرت له عن خطئي فلما رأيتك الآن تذكرته فقلت أسالك عنه

تقبل المحامي التبرير والجواب وقال : هو ليس بصديق ، هو كان زبونا مرة في قضية مالية .. ومرة شكى لي أن احدهم نصب واحتال عليه بمبلغ ، وأنت ذكرت لي مرة أن عاصما صاحبك له علاقة بالنصابين والمحتالين فدعوته لينظر اليه فجاء وعمل نفسه تمثالا وقال لي ليس هو ولا احد ممن في المقهى ، ثم عرفت أنه اعجب بزوجتك المطلقة وعرض عليها العمل معه ، ولم ترد عليه ، ولم يعلم بهواي لها ، وكنت مطلقا يومها وابحث عن امرأة تقف معي في محنة المرض وعرفت بهواه لها بعدما تزوجت أسيل من ذلك الشيطان زوج أخت عاصم التي ماتت بالسرطان

ـ وماذا يشتغل هو ؟

ـ هو تاجر جملة بقالة أعمال البقالة فأحيانا يتحصلون على صفقات تموينية ثم تظهر أنها مغشوشة وفاسدة فيتعرضون للعقاب من السلطات ويتعرضون للنصب والاحتيال أنا رافعت عنه في قضية بضاعة فاسدة منتهية الصلاحية وأما عملية النصب التي تعرض لها فكانت توريد زيت زيتون من احد التجار ثم تبين له أنه لا وجود لهذه التاجر سوى العينات والعلب التي رآها ولما ذهب لمحل ومستودع التاجر لم يجد تاجرا ولا بضاعة كان مخزنا فارغا

ـ عمليات نصب كبيرة هذه .. عاصم نصبه على مستوى اقل .. قريبة من النشل لا رأس مال معه لينصب بعمليات كبيرة ؟ وهل ما زال يبحث عن زوجة صاحبك التاجر ؟

ـ لماذا ؟

ـ فزوجتي طلقت من قريب

ـ طلقت ولماذا ؟

قص عليه ما عرفه من أسيل عن طلاقها من شرف منصور

فقال متلهفا : لو لم أتزوج لسعيت إليها فهي امرأة حسناء .. واعتقد أن صاحبي التاجر هويها ثم نسي أمرها

الفصل الثلاثين

تناولت أسرة لبيب العشاء برفقة أم عمار كأغلب الأيام لأنها اذا لم يكن لديها زوار وضيوف تقضي الوقت عند نادية وأحفادها الأربعة ، ولما انتهى العشاء وأحضرت الخادمة إبريق الشاي وقامت نادية بملأ الأكواب قالت : شقيقي عمار اشتد عليه المرض وادخلوه المستشفى العسكري سأذهب بعد قليل أنا وأمي للزيارة فقد تحدث أولاده مع جدتهم

قال لبيب : سأذهب معكم إن شاء الله نصلي المغرب وننطلق

قالت ريناد : اذا أنت تعبان فلا حرج من بقائك مع الأولاد

ابتسم وقال : لا يا عمتي الغالية خفف الله عنه الوجع والألم فنحن أهل يا أم عمار

قالت نادية : أنت غالي على قلوبنا يا أبا عبد الله

ـ وانتم أيضا لكم معزة في قلبي

بعد صلاة المغرب تحركت سيارتهم لمستشفى عمار فوجدوا عنده شقيقه الوحيد كمال وزوجته وبعض بناته فقبلته أمه ودعت له بالعافية ، وفعلت نادية مثلها وكذلك لبيب فشكرهم وشرح لهم ما حدث ، ودعى له لبيب بالأدعية المأثورة في السنة الشريفة ، ويعد وقت غادروا الغرفة ولما ركبوا في سيارة لبيب قال : شفاه يا أم عمار هيئته تعبانة

ـ قال لي كمال الوضع سيء والأعمار بيد الله لم يعد يستجيب للأدوية
ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. السرطان مرض مؤلم كما نسمع خاصة سرطان الرئة
قالت نادية : نعم ، وعلاجه كما تعلمنا صعب قد لا ينجح الكيماوي بالقضاء عليه فتصير المسألة عد أيام ومسكنات مخدرة لتخفيف الآلام ربنا يلطف به
قالت الأم : الأمر لله

***

وصل شرف للمطار وكان في استقباله شقيقه محمد وابنه يزن المدير المؤقت لشركة شرف الخاصة تعانق الرجال وتناول يزن الحقيبة ومشوا نحو سيارة يزن بعد خروجهم من صالة الاستقبال إلى موقف السيارة ولما ركبوا فيها أعطى يزن عمه فكرة عن نشاط الشركة وهو كان مطلعا عليه أثناء وجوده في أمريكا ، فقدم لهما الشكر واقترح أن يبقى يزن عاملا معه فوافق إلى حين وتحدث يزن قليلا عن فشل أسيل في الإدارة والعمل ، وفي الصباح انتشر خبر عودة شرف منصور رجل العمل الذي فقد ساقه أثناء اجتماع لجمعية رجال الاقتصاد في صحف الصباح وأقام يزن حفلة داخل مكاتب الشركة بمناسبة عودة المدير العام للشركة المالية والاستثمار وحضر الأصدقاء والمعارف للتحية والسلام وممن حضر للتهنئة بالسلامة مطلقته أسيل خازن وشكر لها قدومها . وقامت جمعية رجال الاقتصاد بحفل ترحيب خاص به في نادي الجمعية وحضره الكثير من الأعضاء وبعد حين عاد للذهاب إلى المسبح فيخلع الساق الصناعي ويغطس في الماء زمنا قصيرا لم يعد كالسابق يطيل العوم وبعد تجفيف جيد من الماء للساق ينتعل الرجل الصناعي والحذاء وينصرف لمطعم النادي لتناول الفطور والشاي، ثم ينطلق لمكتبه فيجد يزنا في مكتبه ، وتدخل السكرتيرة الجديدة عليه بملفات المطلوب النظر إليها وتقديم الشروحات اللازمة ، وكان يحول الكثير منها لمكتب يزن ، وذات صباح أثناء وجوده في المسبح قدمت اليه أسيل وبعد حديث ودي وجولة سباحة جلسا في المطعم يأكلان وسمعت منه أخباره في الغربة
قال : عشت سنوات في كندا فلي خبرة في الغربة

ـ كيف أنت ونساء أمريكا ؟

ـ مثل الرز ، أنا لي خبرة في نساء كندا يا سيدة أسيل أنت هل تزوجت ؟

قالت : لم اجد ابن الحلال

ـ لا يوجد رجال في البلد

قالت بنوع من الحسرة : لم اعد صبية يا أستاذ شرف

ـ أنا متزوج

ـ أمريكية

ـ أمريكية على عربية

قالت : أبارك لك

ـ نحن أصدقاء فأهلا بك في كل وقت أين تسكنين؟

ـ عند والديّ

ـ هل تعملين ؟

ـ عمل متقطع .. وهل اجد لديكم شغلا رغم بهدلة يزن لي ؟

قال بصراحة : أنت سعيت لمراودة يزن لقد شرح لي فسادك

ـ وأنت صدقت كذبه.

قال : ولماذا يكذب ؟ ليس كل شخص يغتر بجمالك يا أسيل ! ألم تسعي للزواج من شاب من سن أولادك لو كان عندك أولاد ؟

ـ شكرا وداعا . ونهضت مسرعة ومغادرة للمطعم

فاتبعها ضحكة فقال له مجاور : مالها حردت ؟

ـ لا شيء يا سليم ! كانت زوجتي وطلقتها تحاول العودة

ـ النسوان عجب

الفصل الحادي والثلاثين

رجع زياد عند العاشرة ليلا وكالمعتاد وكلما يدخل الفيلا أو القصر يحي والديه في صالة المعيشة ويستريح قليلا قبل الصعود لغرفة نومه في الأعلى ، ولما جلس سمع والده يقول : أين كنت رائحتك خمرا ؟ كأنك عائد من الحانة وشارب كثيرا

ـ حضرت عيد ميلاد لصديق وشربت قليلا

قالت صفاء : بل كثير . ونادت على الخادمة وطلبت منها قهوة ثقيلة وقالت : لدينا كلام مهم وخطير

تمتم : كلام خطير ومهم .. أين الشباب ؟

قالت : سعدي في غرفته يراجع وأختك في السينما كما تزعم .. ستعود بعد قليل اقترب موعد انتهاء الفيلم زعمت أن السينما تعرض فيلما جديدا نسيت اسمه

حضرت القهوة السوداء ووضعت أمامه وقال : وانتم !

قال : شربناها قبل دخولك .. تريد طعاما

ـ لا تعشينا في الحفل .. لعلي استوعب ما الموضوع المهم . وأخذ يرشفها

قال والده : تكلمي يا صفاء

ألقت السيجارة في منفضة السجائر : الموضوع باختصار داليا فوزي بنت جوانا

رفع صوته كأنه لا يرغب بسماع اسمها : ما لها يا أمي خرجت من قاموسي ومن راسي ، ولن أتزوجها لماذا رجعتم لهذا الموضوع ؟!

ـ هناك تطور خطير يا زياد

ـ حامل منه وتريدون أن استر عليها

قال أبوه بحدة : ليست حاملا .. اسمع التطور لنحل المشكلة ، فوالدها شريكي في اكثر من مشروع وأمها صديقة لأمك من قبل أن تولد ولهن شغل مشترك أيضا .. وأنت سبب إرسالها للعمل عند السيد خالك لتلتقي بذلك الموظف المجرم

ـ وأنا قلت لها حبي الذي نسيت اسمه واهربي معه للبنان

قالت : هذا الولد استطاع أن يخدعها بالكلام المعسول

صاح فيهما : هي طفلة يا أم زياد إنها متخرجة من كلية التجارة عمرها اثنان وعشرون سنة

قالت : اسمع .. أمها أقول صارحتني بأنك عاشرتها كذا مرة قبل ذاك الشاب

قال أبوه : هل هذا صحيح ؟

جرع ما تبقى من الكوب الأسود : يعني

قالت : يعني أنت سلبتها عذريتها وعلينا ترقيع القصة

ـ لم تكن عذراء يا عالم .. هي اعترفت بأنها مارست الجنس مع اكثر من طالب .. أنا لما وصفتها لك في المرة السابقة بالعاهرة لم اقصد علاقتها بالذي هربت معه فحسب ، وهي قالت إن أمها تعلم بعلاقاتها مع الآخرين

قال أبوه : وما دمت تعلم عنها ذلك قبل الخطبة لماذا وافقت على الخطبة ؟ ونحن كما تعلم لا يهمنا تلك العذرية ، ولا يهمنا علاقات ما قبل الزواج والخطبة

قال : أمي قدمت لي إغراءات هي وأمها قولي له عن الإغراءات يا أم زياد

قالت : الإغراءات ما زالت يا زياد

ـ لا احتمل أن أعود لبيتي واجدها في حضن عشيق يا أمي .. والتي استسهلت السفر مع عشيقها إلى لبنان لا تؤتمن ألا تدخل بيتي رجلا وابتلى بدمه

قال أبوه بعد لحظات سكوت: ما هي الإغراءات يا صفاء ؟

قالت : لما فاتحتني جوانا برغبتها بأخذ ابني زوجا وعريسا لابنتها تعذرت عن ذلك لقوة العلاقات الخاصة بيننا خوفا من فشل الزواج وتحدث بيننا حساسيات فقالت البنت تحب زيادا ومعجبة فيه ،وترغب به زوجا ، ووالدها حين تتزوج رسميا سيضع رصيدا خاصا باسم زياد ليفتح مشروعا خاصا به وبها .. سيضع مائة الف دولار إلى مائتين الف باسمهما في البنك لأي مشروع والمبلغ كبير وزياد أعجبته الفكرة

فقال زياد : قلت لا بأس لما يكتب العقد سأستلم المال ، واتفقنا جميعا على فترة خطبة واحتكاك لفترة بضعة اشهر للمزيد من التوافق ومعرفة بعضنا البعض لنفهم بعضنا أكثر ، وهي في هذه المدة رغبت بالعمل للتدريب .. ذهبت تتدرب عند خالي شرف ، فتعلقت بذلك الشاب الذي استغلها بسرعة الصاروخ

قالت امه : والعرض ما زال قائما وفرصة لامتلاك مثل هذه المبلغ

ـ وأعيش ديوث يا أمي أمام الناس

قال والده : اشترط على والدها أنك اذا وجدتها خائنة ستطلقها ولك المال

ـ وهل هي موافقة على أفكار والديها؟

قالت : أمها تقول إنها راغبة بالاقتران بك وإنها كانت نزوة وغفلة

***

التقت أسيل بجميل بناء على اتصال منه ، ولم يكن اللقاء في مقهى العمال كان اللقاء في مقهى آخر ولما التقيا قرب غروب الشمس ، حدثها عن بحثه عن مالك صفوي التمثال الصامت وشرح لها طريقة الوصول إلى المعلومات عنه فقالت : حركت مخك

ضحك وقال : أنا كنت أظن وجوده كأي شخص في المقهى يسلي نفسه بالفرجة علينا ؛ ولكني راجعت ذاكراتي ورأيت همساته مع المحامي

ـ إذن كان يبحث عن نصاب عن طريق عاصم النصاب

ـ هذه هي الحقيقة ، وهو لما رآك سقط في غرامك كما فعل شرف والمحامي قبله

ـ متزوج هو !

ـ وعنده أولاد وهو تاجر جملة في البقالة والمعلبات والزيوت فلا اعتقد انه يفكر بالزواج على امرأته

ضحكت وقالت : لعله كان تلك الفترة ارملا أو مطلق مثلنا

ـ ممكن .. هل ستسعين للقاء به ؟ بس ماذا ستشتغلين معه ؟ بياعة بزر ولا فول

قالت غير مهتمة بسخريته : قد يكون له استشارات في شركات يا سيد جميل

ـ أنت تعشين مع والديك

ـ لا يسمحون لي بالسكن وحدي يخافون عليّ.. امرأة قرب الخمسين يخشون عليها الانفلات والانحراف

ـ ويلك أنت خمسون أنا خمس وأربعون

ـ وأنا مثلك .. هل تعلم أن السيد شرفا رجع برجل ونص؟

ـ قرأنا في الصحف والمجلات عودة الرجل النبيل مدير شركة لا احفظ اسمها

قالت : نسيت أن أخبار مثله تظهر في الأخبار وأنت ما آخر أخبارك ؟

ـ لا أخبار اشتريت سيارة أجرة وأعمل عليها في النهار وفي الليل أعطيها لأجير وبدأت افكر بالزواج رغم الأمراض التي تعصف بي

ـ هل تركت الدخان ؟

ـ إلى حد كبير والكحول كذلك

ـ أنت أهل للزواج

ـ قد امشي حالي

قالت بعد صمت للحظات وإشعال سيجارة : كيف سأقابل السيد مالكا ؟

ـ ما زلت تتعلقين بأحبال الهواء

قالت : لعلي اجد عملا عنده .. أنا لا استطيع أن اشتغل سائقا مثلك

ـ فكرت بالزواج منه يبدو

ـ هو لليوم بدون امرأة .. أريد الشغل دمرتنا اشتراكيتك يا جميل!

ـ مالك عقد بدون اشتراكية .. أنت تزوجت الرأسمالية .. أمي تنصحني أتزوجك ثانية

ـ مسكينة امك كيف أرى صفوي ؟

ـ هو صاحب محلات في شارع نابليون

الفصل الثاني والثلاثين

تبرجت أسيل على آخر طراز وموديل في المدينة ،ومشت بسيارة أجرة نحو مخازن مالك صفوي وكان الوقت قبل الغروب بقليل ، فلما دخلت المتجر الكبير سألت عن السيد مالك صفوي فأرشدت إلى مكتبه القابع في زاوية من زوايا المتجر ، ورآها الرجل تتقدم نحو مكتبه الذي هو عبارة عن غرفة من الزجاج الذي يساعده على رؤية العمال والموظفين فلما شاهدها تقترب من الغرفة ادرك أن هذه المرأة تتقدم نحو مكتبه فنهض قائما وقد ادرك من هي عندما اقتربت وتذكر أول مرة رآها فيها في مقهى العمال حيث كان يبحث عن محتال الزيت ، فتح لها المكتب وسلم عليها وباشا في وجهها ودعاها للدخول وقبل أن يغلق الباب طلب لهما شراب البرتقال والقهوة وعاد لكرسي مكتبه وأشار لها بالجلوس وهو يرحب بها : أهلا بالمهندسة أسيل خازن بعدي لم انس الاسم .. مرحبا بك في محلنا

ـ أهلا بالسيد مالك صفوي

قال بدهشة واضحة : أراك في محلنا !

ـ جئت إليك خاصة

ـ على الرحب والسعة ..هذا متجرنا ومن أرشدك اليه ؟

ـ المحامي عادل تميمة

صرخ استغرابا : صديقنا القديم

دخل العصير ووضع الخادم كوبا أمام السيد وآخر أمامها مرحبا بها ، فلما رشف رشفة قال : أي خدمة نقدمها للمهندسة ..

ـ شكرا .. حتى لا أطيل عليك اذكر أننا لما تهامسنا قبل سنوات في مقهى العمال كما تذكر

ـ نعم اذكر كدنا نصير أصحابا

ـ عرضت عليّ يومها العمل معكم ، ولم افهم ما هي صفة عملك تلك الأيام لأنه لم يطل الكلام بيننا بسبب دخول الزعران

حرك رأسه مرارا وقال : ذكرت لي انك كنت تبحثين عن شغل في مصنع لأنك درست هندسة صناعية

ـ صحيح

ـ وقلت لك سأدبر لك الأمر .. أنت ترغبين وتبحثين عن العمل كما افهم منك الآن

قالت كاذبة : صحيح التقيت بالمحامي فذكر لي قدرتك على إيجاد وظيفة لي

ـ جيد ! علينا أن نرتب للقاء في غير هذا المكان ما رأيك ؟ لنتكلم براحتنا . فعيون العمال علينا كأنني أول مرة اجلس مع امرأة حلوة مثلك

ـ أين ؟

ـ في مطعم شجرة البرتقال أتعرفينه ؟

ـ اعرفه في حي المتحف

ـ ادعوك للعشاء والسهر فيه والحديث

ـ متى ؟

ـ ليلة الجمعة القادمة الساعة الثامنة

ـ شكرا

ـ الجمعة مساء

شربت العصير والقهوة ونهضت قائمة ومصافحة للرجل ، وودعت السيد ليوم اللقاء وادركت أن الرجل ما زال متعلقا بها .

***

ذهبت لصالون النساء قبل موعد اللقاء وتبرجت كما فعلت في اللقاء السابق ، وركبت سيارتها هذه المرة ووصلت المقهى والمطعم الشهير في المدينة ، وذكرت اسمها لموظف الاستقبال فصعد بها النادل إلى الطابق الثاني في قسم خاص بالعائلات، فوجدت السيد في انتظارها فرحب بها بحرارة ، وقدم لهما المضيف قائمة الطعام وطلب لها ما أشارت إليه وسمع منها قصة زواجها

وانفصالها وطردها من العمل فقال : حسنا يا مدام أسيل ! أنا ليس لديّ مصانع خاصة ؛ ولكني استطيع تأمين العمل لك في مصنع لعلاقاتي القوية بأصحاب المصانع بحكم شرائي لبضائع منهم .. نحن نشتري مواد غذائية بالجملة ونبيعها بالجملة

حضر الطعام المطلوب واشتغلت الأفواه بالأكل والشراب ، ولما انتهوا عاد الحديث عن العمل وقال : خلال أسبوع سأدبر لك اكثر من مصنع لتذهبي إليها وتقابلي مالكيها

ـ جزاك الله خيرا .. نعم تذكرت ذلك اللقاء العابر بيننا في مقهى العمال ورغبتك بإيجاد عمل لي ومساعدتك

ضحك وقال مضيفا : كنت يومها ارغب بأكثر من العمل ..كنت أفكر بالاقتران بك لما علمت انك مطلقة من المهندس الذي كنت تجلسين معه حتى عجبت من جلوسك معه

ـ المهندس جميل هو كان زوجي وقريب لي وعشنا في بولندا زمنا

ـ حدثني عنكم الأستاذ عادل الذي كان يجلس ويلعب معكم الورق وانكم كنتم اشتراكيين

ـ صحيح متى أمر عليك لأخذ توصياتك للمصانع ؟

ـ أنت هذه الأيام مطلقة لماذا طلقك رجل الأعمال شرف علاء الدين ؟

ـ تعرض لمحاولة قتل ونشرت في الجرائد ، وسافر أمريكا للعلاج وقطعت ساقه ، وتشاجرت مع ابن أخيه في إدارة الشركة في غيابه فتم فصلي ثم طلقني من هناك على وشايات نقلت له .

قالت : الوشايات تدمر العروش والقصور .. نعم قرأت عن عودته قبل شهور من اثر الإصابة ألا يفكر بإعادتك ؟

ـ لا اعتقد لأنه تزوج أمريكية

هز رأسه وقال : تزوج هناك وهناك ممنوع التعدد الرسمي عندهم

ـ نعم

ـ أنا عندي اكثر من زوجة ، وأنت بنت حلوة ومتعلمة ، لديّ امرأة مريضة وبسبب مرضها تزوجت عليها .. هل تقلبين بصراحة أن تكوني الثالثة ؟

ـ أليس الأمر صعبا يا سيد مالك؟!

ـ لي منهنّ أولاد ، والمريضة لا اقربها، فلا استطيع مفارقتهن بالطلاق .

ـ ساعدني في العمل فحسب ، وأجل الزواج لحين .. أنا من حيث المبدأ ارغب بالزواج ؛ ولكن أهلي لا يتقبلون زواجي ضرة أو ثالثة

ـ جيد ! ولنبق أصدقاء .. افهم انك تعشين مع أهلك

ـ صحيح

ـ هل يمكنني التحدث إليك بالهاتف؟

ـ يمكن ذلك قل أنا صاحب عمل أسيل

***

زارت أسيل أختها سلوى في مبني مستشفى الأطفال وقصت عليها على انفراد مشروع زواجها من رحل الأعمال مالك صفوي مما ادهش سلوى من مشروعها الجديد حتى أنها قالت : كأنك ما زلت مراهقة .. ورجل عنده زوجتان

ـ في واحدة مهجورة بس أم للأولاد

قالت سلوى المستغربة لهفة أختها على الزواج الثالث : حدثت والديك بذلك.

ـ لم يحدث زواج هو مجرد كلام وعرض فكيف أحدثهما؟

قالت بنبرة ساخطة : مشاريعك تثير الغضب والسخط أنت لماذا طلقت من شرف ؟

ـ أراد الزواج من أمريكية ، ولا يبيحون التعدد

ـ ولكنه عاد بدون أمريكية

ـ ستأتي ذهبت وسلمت وهنأته على العودة والسلامة فقال لي انه تزوج أمريكية من اصل عربي

ـ هذا سبب الطلاق عندك ولكن نقل لي غير ذلك

صاحت أسيل : لا تصدقي التبريرات

قالت بحزم : أنا اصدق التبريرات ؛ لأن طلاقك حدث أثناء فترة العلاج ، فلم يكن هناك زواج

يا أسيل كان هناك علاج

ـ لم يحدث شيء بيني وبين ابن أخيه لا أدري من أين يأتي الناس بالقصص التافهة ؟

ـ يقال لا دخان بلا نار .. المهم اهتمي بالعمل ولا تفكري بالزواج من التاجر مالك

قالت محتجة : يعني أظل أسيرة محجوزة في بيت امك وأبيك .. مع من تتكلمين ؟مع من تسهرين؟ أظل تحت رحمة السؤال

ـ من الجيد أن يجد الإنسان من يسأله عن تحركاته ومكالماته .. ليست الرقابة دائما ضارة

هاجت وقالت : كيف تفكرين ؟ أين مديرتك ؟

ـ سنعين لنا مديرا قريبا

ـ وانتم ؟!

ـ هناك مجلس إدارة للمستشفى يا أسيل

ـ من رئيسه أنت أم نادية ؟

ـ المهم العمل ساري .. نصيحة أخيرة لا تتعجلين بالزواج من ذاك الرجل .. فهن أمهات أبنائه وأنت لم تنجبين.. واليوم لا اعتقد انك ستلدين

الفصل الثالث والثلاثين

ضغط زياد على والديه لطلب يد ابنة ابن عمها كمال فذكر له والده بأنها غير لائقة بأسرته وإن والدها مجرد شرطي لا يملك ثروة مثلهم . فقال محتجا : لكننا أقارب يا أبي! هو ابن عم هذه المرأة

ـ صحيح ؛ لكن نحن أصحاب أملاك وشركات ، فدائما الواحد يتزوج ممن في مستواه الاجتماعي والمالي .. يا زياد أنا لما تزوجت امك كانت بنت وزير ووالدها كان غنيا جدا رجل صناعة واقتصاد قبل الوزارة .. فأسرة عمها عساكر وشرطة .. ولولا والده عرفة لعاش طول عمره ببيت مستأجر عليك مراعاة ذلك

ـ الناس سواسية يا أبي

ـ الناس طبقات ، بعضهم فوق بعض ، قد نكون في الإنسانية سواء .. لكن في الثروة هناك الموسر الغني والفقير المدقع وبينهما درجات

ـ منطق عجيب يا أبي .. يعني داليا الفاجرة ؛ لأنها من طبقتنا عليّ أن أتزوجها.. ولما هربت مع شاب اقل من مستوانا المالي قعدنا ننتظر عودتها أين ذهب عشيقها ؟

ـ هو ضحك عليها وأوهمها انه ابن رئيس جمهورية وهو لم يظهر بعد

قالت صفاء : لا أرى أن يقبل كمال زواجك من ابنته أو حتى هي فهم يدركون مستواهم المالي بالنسبة لوالدك .. وبالنسبة للشاب الذي خطفها كما قال أبوك أوهمها بقصص حسبته اعلى منها مقاما ومركزا

ـ خطفها كلام فارغ .. داليا ذهبت بإراداتها معه ما قالت لك أمها عنه؟

قالت بتلكؤ : لا يعرفون عنه شيئا ؛ كما اختفت خفية ظهرت فجأة معلنة ندمها واسفها وانها أخطأت بحقك وتريد تصحيح الحال

ـ تصحيح الحال على حسابي .. تعيش سنة مع رجل

قال أبوه : أنت قلت إنها اعترفت لك بمقارفة الجماع مع طلاب الجامعة وقبلتها ومكنتك من نفسها فلماذا لا تقبل بها اليوم ما الفرق ؟!

فرد على وجهة نظر أبيه : وهل يضمن الرجل أن التي تتزوجه طاهرة ولم تعاشر الرجال أو رجلا على الأقل ؟ فهن يفتخرن بعدد العشاق .

قالت : معاييرك غير سليمة يا زياد مائة الف مبلغ مهم في مسيرة حياتك

ـ لا ابتاع بمليون

قالت : حسنا واذا رفضت ابنة كمال زواجك تتزوجها

ـ ولماذا ترفض ؟

قال أبوه : قد يكون لها حبيب وصديق ..كما تزعم لكل البنات وأنت أين رأيتها لترغب فيها ؟

قال متذكرا : رأيتها في مكتب خالي شرف تريد توصية للعمل في الشرطة كوالدها فراقت لي

وأعجبني قوامها وحسنها

قال : جاءت تطلب توصية من شرف .. يا رجل أبوها ضابط وعمها ضابط وهو مريض وعلى وشك الموت وجدها تقاعد على عميد

ـ هذا ما سمعته ونحن نجلس مع خالي

ـ من متى ؟

ـ من قبل ظهور داليا من مخبئها ؛ ولكني أجلت الحديث معكم عنها حتى ألتقي بالفتاة وحدنا ونتفاهم ولم يتيسر ذلك .. لقد وعدني خالي بتحقيق ذلك

قالت : ولماذا وسطته للعمل في الشرطة ؟

ـ هي شرطية ؛ كأنني فهمت أنها تريد العمل في دائرة معينة ولخالي شرف معرفة بمديرها

قال أبوه : ممكن !وتريد أنت ا الزواج من شرطية

ـ أنا ليس عندي هذا الفارق بيني وبين الناس

***

ولما رأى الشاب ضغطا عليه للعودة لداليا فوزي ، راجع زياد خاله شرف بموضوع الزواج من ابنة كمال علي فرفع شرف التلفون فورا وقال : نسيت الموضوع فوالداك لم يتحدثا معي وهذا يعني يا زياد انهم غير متشجعين من الزواج من ابنة شرطي

ضحك زياد : هذا انتم تفهمون على بعض . وقص عليه مختصر اعتراض والديه فضحك شرف وقال قبل أن يضرب رقم كمال : وابن عمي صدق يعرف نظر زوج صفاء له ..خبرات تراكمت يا زياد ؛ فكان زوج أختي صفاء يحتقر كل من يعمل بوظيفة عامة وراتب محدود ومن ضمنهم عمي وأولاده كنتم أطفالا بعد

ـ هذه نظرة خاطئة ومتعجرفة

ـ هكذا رُبي .. فلما تزوجت سكرتيرتي التي ماتت تضايق مني والدك وحتى أختي قعدنا فترة متهاجرين كيف ابن الوزير يتزوج فتاة سكرتيرة تعيش على الراتب؟ ورغم انني وضحت لهم

وجهة نظري واعترفت لهم انني ألزمتها بالإجهاض فعلي تكحيل الأمر لم يرتاحوا ولم يهتموا بتهديدات شقيقها لي وحتى ضربني هنا في هذا المكتب ، ثم هربت لكندا لنا هناك نشاط تجاري في أنواع السيارات والجرافات ومعدات الحفر ثم طلقتها وبعد هجرة اربع سنين عدت وتزوجتها من جديد حتى ماتت ودفنتها ، ولم يحضرا جنازتها ولا العزاء فيها

ـ حقيقة أنا لم اعرف صفات أبي وأختك إلا لما خطبت داليا ضغطا منها

ـ لا تهتم افعل ما تقتنع به واجعل لنفسك مبادئ خاصة

ضرب رقم كمال ولما حياه قال : عندي زياد ابن أختي صفاء لعلك تذكر الموضوع الذي تحدثنا به من أسابيع

ـ عن الزواج

ـ له رغبة بمصاهرتك

ـ أنا في البيت ارحب بكما ..

ـ انتظرنا

***

دخلا غرفة الضيوف وقدم لهما الماء والقهوة وشرح شرف رغبة زياد بمصاهرته في ابنته دلال موظفة شرطة المختبرات الجنائية بصفتها تعلمت بكالوريوس الكيمياء والعلوم الحياتية .

فقال كمال : أنا ارحب بك يا زياد وخالك حدثني بذلك من أسابيع ؛ ولكن لأكن معك صريحا أبوك وحتى امك ابنة عمي لا يروننا من مستواهم الاجتماعي والمالي من قديم فليس من اليوم وقبل أن يكمل فكرته دخلت دلال ترحب بهم وتسلم عليهم ورحبوا بها فقال كمال : هذه ابنتي اذا قبلت بك زوجا سنغامر وننسى اعتراض والديك وتكبرهم

قال شرف : يا آنسة دلال الرجل معروف لك ومنذ أن رآك في مكتبي كما تذكرين راغب بزواجك منذ فشل زواجه من ابنة فوزي شريك أبيه التي هربت مع عشيق الموظف عندنا .. ولما رآك تلك المرة في مكتبي وعرف ابنة من رغب أن تكوني زوجته ولكن علاقة والدك بزوج

أختي غير صحية وزياد يعرف ذلك ، وهو لا يكترث لقواعد أبيه وامه في نظرتهم للناس ..
ويوم تزوجت غالية دبوس سمعت منهما كلاما مؤلما ؛ ولكني لم اكترث لهما ولقواعدهما الطبقية
.. فهو هذا الشاب يمكنكنا الجلوس معا وفهم بعضكما نظريا قبل الإقدام على أي خطوة فعلية
قال زياد : كما قال خالي أنا لست نسخة عن أبي ، فأنا راغب فعلا بالزواج والاقتران بك ولا
يهمني ما تعملين وتشتغلين.. المهم التفاهم وأنا وافقت على داليا ليس عن قصة حب وغرام
كانت صفقة بين الأسرتين ؛ لذلك من أول هزة تخلت الفتاة عني وهربت مع موظف خالي ثم
ظهرت من جديد ويريدون إعادتها لي .. وانا رفضت فاذا قبلت مؤقتا انتهت داليا من حياتي
فقالت : وكيف تراني سأعيش مع اهلك
ـ سنسكن بعيدين عنهم وبحريتنا
ـ لا احب المراوغة يا زياد .. أنا شاكر لك تفكيرك بي كزوجة ؛ ولكن اسمع .. واقع أسرتك
فعلا لا يناسب واقع أسرتنا .. فأي مشكلة سيتدخلون بيننا وسيعادونني بكل قوة ..فأنا آسفة
جدا وأرجو أن تقبل اعتذاري .. ودع الأيام تفعل ما تشاء
قال شرف : في مجال للتفكير يا آنسة دلال
ـ أنا حدثني والدي قبل هذا اللقاء عن الموضوع والفكرة من الزواج من زياد بناء على حديثك
معه من أسابيع ولم ارتاح لهذا الزواج .. واحب أبي أن تسمعوا من لساني الرد والاعتذار
فقال زياد : شكرا ، صحيح الأمر مؤلم ؛ ولكن اقدر شجاعتك وثقتك بنفسك .. شكرا أستاذ
كمال .
وتصافح الجميع وشكر كمال شرفا وزيادا وغادروا المنزل وزياد في حالة وجوم وغم

الفصل الرابع والثلاثين

بعد مفارقته خاله شرف ذهب زياد لشلته وشرب كثيرا من الكحول تنفيسا عن ضيقه زاعما لمن
معه ، وعاد للبيت ثملا بعد منتصف الليل ووجد والدته مستيقظة وأبوه لم يعد من ناديه الخاص
فساقته الخادمة إلى حجرته وقد بان عليه السكر الشديد ، وطرح نفسه على السرير فقالت صفاء

: اعملي قهوة وسأذهب لحجرته يبدو انه سكران لأخر درجة

دخلت امه الحجرة وقالت : زياد زياد ليس هكذا السكر

بحلق فيها وقال بتثاقل قوي بالنطق : أريد أن أنام اذهبي ونامي عند زوجك

ـ زوجي لم يحضر .. ستأتي القهوة

ـ تعبان ولا أريد قهوة

ـ أنت سكران جدا .. لماذا فعلت هذا بروحك ؟

ـ رفضتني بنت كمال .. نحن لا نصلح للزواج منهم

ـ ذهبت وحدك

ـ لا ، رافقني خالي شفيعا

ـ شرف

قال صارخا : ومن غيره ..عيروني باحتقار أبي لهم وأنه لا يراهم بشرا

ـ هاتي القهوة واذهبي ونامي

سكبت الكوب وقالت : هذه حياتنا .. نحن أحرار في نظرتنا للناس وهم أحرار في نظرتهم إلينا وهذه النظرة بيننا وبينهم معروفة ؛ لذلك حذرناك من الزواج منهم ذهبت وبهدلت نفسك .. قلنا لك داليا مناسبة لك ولنا وهي من ثوبنا وبيننا مصالح

ـ لا يمكن أن أتزوج امرأة مثلها .. ولماذا الزواج ؟

ـ على كل اشرب القهوة ونام وغدا نحسم موضوع داليا ؛ لأن هناك عريسا آخر كما قالت جوانا

هتف حامدا : الحمد لله أنهم لقوا احمق آخر يطبب عليها

جرت محاولة في اليوم التالي لإقناع زياد بالعودة لخطيبته الهاربة مع مزيد من الإغراءات المالية ثم قال محتدا : اسمعوا أنا أمس وانا عند خالي حكيت له عن قصة داليا وأنهم يبحثون عن زوج لها من عائلة علاء الدين فقال لي : لديّ عريس محترم اذا رغبت فيه فكلموا شرفا ليرشدكم اليه

فضحك والده وقال : هو يريدنا نحن وأنا لست من علاء الدين هم أقارب لي من جهة الوالدة

ولماذا أشركت شرفا ؟

ـ أنا لن ولن ولن أتزوج داليا .. خلاص طلعت من روحي

فقالت امه لما خيم السكوت : ومن هو مرشح خالك لعلي اذكره لجوانا ؟

رن على خاله سريعا وذكره بموضوع داليا وناول التلفون لأمه التي رحبت بشقيقها واطمأنت عليه ثم فتحت موضوع العريس المرشح فقال :ابن عمار علي ضابط في الجيش

ضحكت بصوت عال وقالت : ابن عمار واسترضاه داليا يا شرف

ـ جربي أليس ذكرا كغيره من الرجال ومن العيلة

قهقهت صفاء : ابن عمار على الرأس والعين بس زياد ليس من عيلتنا .. يا شرف ما رايك أنت أن تتزوجها ؟

ضحك يصوت عال وقال : لو دفع لي فوزي مليونا ما قبلتها ..ثانيا أنا ختيار يا صفاء .. ما دام ابن عمار الشاب غير مناسب فليتزوجها أبو زياد زوجك

ضحكت وقالت : لو يقبل لأسمح له .. شكرا

ـ جربي

ـ زوجي عم يضحك على ابن عمار ويقول لك لابنتي لا اقبله صدق سأعرض الرجل العظيم عليهم

ـ جربي

***

لما سمعت جوانا ترشيح شرف لابن ابن عمه العسكري كاد يغمى عليها من الضحك حتى أن داليا قالت ساخرة : هذه آخرتها أن أتزوج عسكريا يقضي وقته في الوديان والجبال . واصبح اختيار شرف نكتة بين العائلتين .

وبينما هم يفكرون بزواج داليا ظهر العشيق غسان كامل في الميدان وهو يهدد بالانتقام من داليا التي غدرت به وهربت من شقته التي استأجرتها وسلمته للشرطة في طرابلس حيث اختفيا

طول تلك الشهور واتهمته بخطفها فأوقفته الشرطة للتحقيق في القضية واطلقوا سراحها للعودة لبلدها كما ظهر لنا ولما عرف والدها بعودته وتهديداته لابنته الوحيدة بين ثلاث ذكور طلبه للقاء واستمع منه لقصته مع ابنته فقال : زعمت لي أثناء العمل انني فارس أحلامها وأنني افضل من خطيبها وانها مستعدة للزواج مني خلال فترة عملها معنا في مكتب المراسلات وصدقت أنكم خطبتموها من زياد غصبا عنها وانكم لن تقبلوا بي زوجا وخططنا للهرب لبيروت ولبنان للزواج وعشنا في طرابلس كزوجين وهي تمهلني بعقد الزواج ثم غدرت بي وزعمت للشرطة انني خطفتها وهربت بها للبنان وامنوا سفرها للعودة وحبسوني ثلاثة اشهر لأنكم لم تتقدموا بشكوى ضدي وافرجوا عني

***

أسيل اتصلت ببيت سلوى وأخبرتها خادمة البيت بذهابها لزيارة ولم تعد ووعدتها أنها ستذكر لها الاتصال فقالت : أنا في البيت في انتظار تلفونها

حوالي العاشرة ليلا دخلت سلوى وزوجها وأطفالها الثلاثة البيت وأخبرتها الخادمة باتصال شقيقتها أسيل وهي تنتظر الرد عليها ، فقامت الخادمة بإدخال الأطفال لغرف النوم لتنيمهم بدلا من أمهم والزوج انصرف لغرفة نومه وجلست سلوى قرب جهاز الهاتف وتحدثت مع والديها ثم سمعت صوت أسيل يسألها أين كانت تسهر؟ فأخبرتها وقالت : ماذا في جعبتك لتتصلي ؟ لي أسبوع لم اسمع صوتك واسمع مغامراتك ؟

ـ رغم انني الكبيرة في الولادة احب سماع رأيك وبهدالتك

قال سلوى : أنا احب لك الخير والسعادة كما احبها لنفسي أتشكين في ذلك؟

ـ لا يا حبيبتي أنت تعرفين عني اكثر ممن حولي .. جميل قد يموت لقد تعاطى جرعة زائدة من المخدر .. وانا راغب بالتصالح معك لأنك غضبت مني آخر لقاء بيننا ؛ وليس لي بعد والدي حبيبا إلا أنت

قالت : أنا لست زعلانة منك أنا انزعج من تصرفاتك ومطاردة الرجال .. فالمفروض هم

يأتونك

ـ هذا قديم يا سلوى .. كانت البنت تعيش في البيت حتى يجيء عريس الهنا

ـ صحيح .. بس ما زالت الفتيات مرغوبات والأزواج يأتون للبيوت يخطبوهن ؛ ليس في المقاهي والشوارع .. هل اشتغلت ؟

ـ انتظر تلفون من المحترم مالك ؛ كأنه نسي الموضوع

قالت عارضة عملا : هل تعملين في قسم صيانة الجامعة ؟

ـ ماذا اعمل ؟

ـ كما يعمل لبيب أبو عبد الله مشرفة على العمال والفنيين والصيانة

ـ كيف دخلهم ؟

ـ لا ادري أم يبحث لك أبو جهاد زوجي عن عمل في مصنع

ـ سأنتظر مالك لبعض الوقت .. المهم أنا بحبك ، ولا احب زعلك .. واذا مات الولد ستذهبين معنا

ـ أكيد ما هو قريب لأمك

ـ حبيبتي سلوى يا أم حسان سلمي وقبلي حسان وأختيه

الفصل الخامس والثلاثين

تحدثت نادية عن إمكانية عمل شقيقة سلوى في قسم صيانة الجامعة كمهندسة مع لبيب احمد فكر قليلا ثم قال : ممكن قسم الصيانة كبير لأن أقسام الجامعة كبيرة ومتعددة بحكم كثرة الكليات وتوابعها بس تؤكد رغبتها اقدم عنها طلب توظيف وأنا كما تعلمين على وشك إنهاء خدماتي وأتقاعد رسميا ونحن نخدم سلوى بعيوننا فهي قرينة صديقنا محمود

ـ يعني نبدأ نعد أنفسنا لتسليمك إدارة المستشفى بشكل رسمي ومتفرغ

ـ قريبا إن شاء الله.. بس عليها أن تدع الفتاة السفور الصارخ أثناء الدوام لأن العمل ليس عمل مكاتب

ـ سأفعل إن شاء الله

اتصلت نادية بسلوى لم تنتظر الصباح وقالت لها بعد نقل تحيات أبي عبد الله أنها يمكنها العمل في قسم صيانة الجامعة ، فالجامعة كلياتها كثيرة والأعطال كثيرة ، بس بدها قليل من الحشمة لأن اكثر العاملين رجال ولأن العمل خارج المكاتب وتنتقل من موقع إلى آخر ، واذا لديها رغبة فلتعجل قبل تقاعد لبيب ليتمكن من مساعدتها لدى نائبه المهندس عبد السلام، وبدورها سلوى نقلت الرسالة لأسيل التي أسرعت لمقابلة لبيب مدير أو رئيس القسم في قسم الصيانة فرحب وقدم طلبها ووعدها خيرا وطلب من عبد السلام الاهتمام بها ، وأن يدبر له زوج اكبر منها بسنوات حسب رغبة نادية وسلوى حتى أن الضحك غمرها .

بعد أيام يسيرة دخلت أسيل مهندسة صيانة في الجامعة ، وكلفت بصيانة مختبرات كلية العلوم وقسم من كلية التمريض ومراقبة وصيانة المصاعد لتلك الكليتين ؛ لذلك لما تلقت أخيرا هاتفا من التاجر مالك سألته عن سبب التأخير لأكثر من شهر فقال معتذرا : كنت في عمل خارج البلاد ولما عدت تابعت من وعدتها بعمل

فقالت متنهدة : لقد وفقت للعمل في صيانة الجامعة

ـ جيد يعني انتهت مشكلة العمل .. هل تزوجت بعد ؟

ضحكت وقالت : صعب أن أكون عندك زوجة ثالثة يا سيد مالك !

ـ شكرا .. حياة سعيدة مع من التقيت به ؟

ـ أبدا لم التق بأحد.. أنا عمري قريب الخمسة وأربعين يا سيد مالك

ـ تبدين صبية في الثلاثينات مع السلامة وأنا في الخدمة

ـ بارك الله فيك مع السلامة

***

قالت صفاء لجوانا أم داليا عندما التقتا في اجتماع جمعية نساء الأعمال الخاصة بهن : ماذا فعلتم مع ذلك الشاب الخاطف ؟

ـ التقى به فوزي وسمع منه القصة ، فتبين كما قال لي وصدقه أن ابنتا هي أحبته ككثير من قصص حبها وهربت به لبيروت وعاشت معه في طرابلس ، ولما ملت منه سلمته للشرطة بتهمة الخطف وعادت وحدها وحبس حتى تحققوا من كذبها كما يقول وعاد يهدد بالانتقام منها فأعطاه فوزي كم دولار كتعويض عن الحبس وقال له اغرب عنا فلولا معرفتنا بهبل بنتنا لرفعنا عليك تهمة خطف وأحضرك البوليس الدولي فأخذ الفلوس واختفى .. كنا حابين أن نزوجها لابنك زياد الذي قبلها قبل فعلتها القبيحة وفرحنا بكم .. ونحن في حيرة من التصرف معها

ـ سعينا بكل قوة لأن يقبلها زياد ؛ لكن يبدو أن الجرح كبير منها في قلبه

ـ أبو داليا يحبكم كثيرا وصديق زوجك الأثير فمن اجل ذلك كان راعبا بهذا النسب

ـ القلوب عند بعض ..وزياد في المرة الأولى كان سعيدا بها ؛ ولكنها لما هربت مع موظف شرف تألم كثيرا يا جوانا حتى عرضناها على أخيه الأصغر من رغبتنا بكم فقال أنا في الجامعة ليس لديّ وقت للسهر والسمر والرحلات والمعارض

ـ معه حق ! ها هي اليوم سافرت مع أبناء عمها لباريس لعشرة أيام

ـ ما هناك للسفر ؟

ـ لا ادري ربما مهرجان أو أعياد باريسية

ـ لماذا لا تعمل معكم ؟

ـ عملت أسبوع وزهقت

***

تلقت صفاء تلفونا من شرف ذات ليلة يسألها عن موضوع ابن عمار فضحكت وقالت : يا عزيزي تزوجت أنت ؟

ضحك وقال : ما هو أنا متزوج

فضحكت هي الأخرى : الأمريكية التي تركتها هناك هل أنت فعلا تزوجت أمريكية ؟

رد بجد : أولئك يا صفاء لا يرغبن بالزواج .. المرأة الأمريكية طبعا في الغالب مستعدة أن

تعيش سنوات مع الرجل بدون زواج رسمي.. هكذا نظام زواجهم الدارج لأن نظام الطلاق معقد عندهم .. فلما يرغب الزوج ينفصل دون أوراق ودون مال .. صاحبتي طول المدة لما علمت أن إجازتي انتهت غادرت ..

ـ هذه هي حياتهم يتزوجن الزواج الرسمي على كبر

ـ صحيح هل وجدتم لها عريسا ؟

ـ راحت تشم هوا باريس .. هذه حياتها الرحلات والمطاعم والحفلات والضحك على الشباب اشتغلت عند أبيها لم تكمل الأسبوع .. عندك طولت بعض الوقت .. إذن تفكر بالزواج

ـ لم اعد افكر فيه .. فالصحة لم تعد قادرة على الزواج وهم الزواج

الفصل الأخير

انهى المهندس لبيب اكثر من عشرين عاما في صيانة الجامعة وبعد استراحة لأسبوع باشر العمل في مستشفى الأطفال الخاص به وبزوجته وسلوى وزوجها وبعض المستثمرين من أصحابهم وعقد اجتماع أداري ، واعلن فيه تسلمه الإدارة كاملة ، وعادت نادية وسلوى للعمل فقط كطبيات مع الكادر الطبي والتمريضي، وهناك كادر مقيم ليلي للطوارئ وللمرضى في قسم الغرف ، ولم يكن المهندس غريبا عن كادر المشفى فهو ممن يملكون راس مال المستشفى وأحدث بعد وقت قصير تطويرا لقسم الولادة والخداج ، وإضافة طبيبات وقابلات وتعاقد مع اكثر من جراح على العملية والحاجة والطوارئ

وكانت ريناد تسمع ما يحدث من نادية وهي تقول : زوجك رجل حقيقي طيب للآخر فأرى منه ودا وعناية اكثر من أخويك حقيقة وليس مجاملة

ـ شكرا يا أمي والفضل لابن عمتي هشام الذي عرفني به

ـ نعم الاختيار .. كيف هو وأهله ؟

ـ كما يتعامل معنا يتعامل معهم ، وهم يحبونه وحتى أخوته وأخواته دائما يهنئني به

ـ لاحظت ودهنّ له كلما زاروه وكنت هنا

ـ وصال للرحم يود الجميع

قالت ريناد بلطف : هل أحببتيه كما أحببت ذاك الطبيب ؟ الذي صارعت الدنيا من أجله

حدقت في عيون أمها لثوان وقالت : شاهد مات حبه في قلبي منذ فارقته يا أمي الحبيبة .. وهو اليوم كما تقول سلوى يعاني من نزيف الدماغ .. وأما لبيب فهو كل حياتي فهو يحبني حبا اكثر من شاهد .. بنت الجامعة تبقى ساذجة .. نعم احبه اكثر من نفسي .. أليس هو والد أبنائي الأربعة ؟

ـ أنت بنت بارة وتستحقين كل الحب ، منذ تزوجت منه لم اسمع منك شكوى نحوه ولا هو شكاك أو تذمر أمامي من تصرف ولو بالخطأ صدر منك

نهضت نادية تعانق أمها وتقبل يديها : احبك يا أمي ! صبرت على أبي ـ رحمه الله ـ وتعرضت لظلم عظيم منه ..ادركناه على كبر

ـ جعلتينني ابكي يا حبيبتي .. وأنت احب الناس إليّ رغم ما كان بيننا من جفاء وصراع

ـ حبيبتي الغالية يا أمي عسى الله تعالى أن يكرمنا بالجنة بعد حسن الخاتمة

ـ أحسنت ! فهمت دورك الصالح في الحياة

وتعانقتا من جديد .

تمت بحمد لله

المحتويات

القرين الطائر

٢٠٢٤